السبت 25 تموز 2020
العدد 4109 السنة الرابعة عشرة
Samedi 25 Juillet 2020 no 4109 14ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

ميا كوتو
مهرّب الكلمات

العدوّ يخضع لـ«تأديب ما قبل العقاب» وقواته التزمت «الوقوف على إجر ونص»

إسرائيل مستنفرة وتنتظر الردّ [2]

(هيثم الموسوي)

المصارف
نريد أملاك الدولة... «عالرخيص»
[4 ـ 5]

تقرير

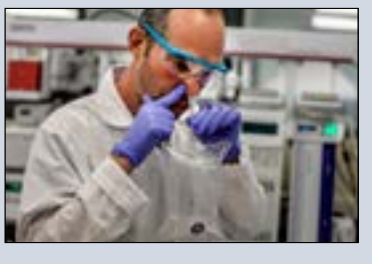

إسرائيل تستخدم أجساد الهنود في اختبارات «كورونا»!

12

كورونا

اللقاح الروسيّ قبل نهاية العام؟

13

تقرير

الاتفاق الأوروبيّ «التاريخيّ»:
أكثر من «تعافٍ» وأقلّ من فدراليّة

14

قضية اليوم

إسرائيل تخضع لـ«تأديب ما قبل العقاب»... وجيش الاحتلال التزم الوقوف «على إجر ونص»

قلق العدو... وصمت المقاومة!

إبراهيم الأمين

من المفيد في حالة الصراع مع العدو أن نضع أنفسنا مكانه. أن نحاول بناء منظومة المعطيات التي تسمح له بتقدير الموقف. وبالتالي اتخاذ الخطوات، سواء كانت وقائية أو دفاعية أو هجومية. ومن الممكن الاعتقاد بقوة، أن «تغييرات ما» طرأت على العقل الإسرائيلي في الأشهر القليلة الماضية. وهي تغييرات تخص كل الأعداء في الشمال، وخصوصاً إيران. ويسود انطباع بأن قيادة العدو، بالتعاون

> **ما يفوت العدو أن مبدأ الردّ ليس حاجة شكلية لحماية صورة المقاومة، بل هو حاجة مركزية لحماية منجزات المقاومة، وتبقى كلفته أقل بكثير من كلفة عدم الردّ**

> **تحاول إسرائيل عدم دفع الثمن مرتين، مرة بالتأديب مع «وقفة الإجر ونص» ومرة ثانية عند تعرّضها للضربة، وجوابها الوقائي، استنفار بصوت خافت، والتهديد بردّ واسع**

مع جهات نافذة في الإدارة الأميركية، تعتقد أنه يمكن «اغتنام الفرصة» في هذه اللحظات العصيبة عالمياً، سياسياً واقتصادياً وصحياً، لأجل القيام بـ«إجراءات تعطل برامج إيران في المجالَين النووي والعسكري»، وأن الأمر يمكن القيام به حتى ولو تطور إلى مواجهة. وفي هذه الحالة، يبدو العقل الإسرائيلي عاملاً على فكرة جوهرية، وهي أن يكون الاشتباك مع إيران وحلفائها ليس مع إسرائيل وحدها، بل مع أميركا أساساً.

لنضع جانباً ما يجري في إيران. ثمة من يمكنه هناك احتساب القواعد وتقدير الموقف واتخاذ القرار. لكن ما يجري في سوريا ولبنان له قواعد تأخذ بشكل أساسي موقع وموقف الرئيس بشار الأسد. لا يمكن محاصرة الرجل أو ضغطه لأجل القيام برد مباشر على الاعتداءات الإسرائيلية. والقرار هنا مرتبط بالمصلحة الاستراتيجية، لأن هدف العدو من أي مواجهة في سوريا هو ضرب قواعد حماية النظام. ورهان إسرائيل أن ذلك يؤدي حكماً إلى إحداث ضرر كبير في برامج محور المقاومة بكامله. ولذلك، يمكن استعادة القواعد التي تولّت روسيا رعايتها ومختصرها يقول: روسيا لن تمنع إسرائيل من توجيه ضربات موضعية إلى خصومها من إيران وحزب الله في سوريا. لكنها لن تسمح لها بدخول طائراتها إلى السماء السورية. ولن تسمح لها بأن تضرب مراكز أو منشات تهدد النظام. لكن للمعادلة الروسية إضافتها التي تقول: روسيا تتفهّم أي رد فعل يقوم به الإيرانيون أو حزب الله من سوريا، لكنها تعرف أن الجهتين لن تبادرا إلى أعمال تغييرات تخص كل الأعداء في الشمال، وخصوصاً إيران. ويسود انطباع بأن قيادة العدو، بالتعاون مع جهات نافذة في الإدارة الأميركية، تعتقد أنه يمكن «اغتنام الفرصة» في هذه اللحظات العصيبة عالمياً، سياسياً واقتصادياً وصحياً، لأجل القيام بـ«إجراءات تعطل برامج إيران في المجالَين النووي والعسكري»، وأن الأمر يمكن القيام به حتى ولو تطور إلى مواجهة. وفي هذه الحالة، يبدو العقل الإسرائيلي عاملاً على فكرة جوهرية، وهي أن يكون الاشتباك مع إيران وحلفائها ليس مع إسرائيل وحدها، بل مع أميركا أساساً.

لنضع جانباً ما يجري في إيران. ثمة من يمكنه هناك احتساب القواعد وتقدير الموقف واتخاذ القرار. لكن ما يجري في سوريا ولبنان له قواعد تأخذ بشكل أساسي موقع وموقف الرئيس بشار الأسد. لا يمكن محاصرة الرجل أو ضغطه لأجل القيام برد مباشر على الاعتداءات الإسرائيلية. والقرار هنا مرتبط بالمصلحة الاستراتيجية، لأن هدف العدو من أي مواجهة في سوريا هو ضرب قواعد حماية النظام. ورهان إسرائيل أن ذلك يؤدي حكماً إلى إحداث ضرر كبير في برامج محور المقاومة بكامله. ولذلك، يمكن استعادة القواعد التي تولّت روسيا رعايتها ومختصرها يقول: روسيا لن تمنع إسرائيل من توجيه ضربات موضعية إلى خصومها من إيران وحزب الله في سوريا. لكنها لن تسمح لها بدخول طائراتها إلى السماء السورية. ولن تسمح لها بأن تضرب مراكز أو منشات تهدد النظام. لكن للمعادلة الروسية إضافتها التي تقول: روسيا تتفهّم أي رد فعل يقوم به الإيرانيون أو حزب الله من سوريا، لكنها تعرف أن الجهتين لن تبادرا إلى أعمال تغييرات تخص كل الأعداء في الأشهر القليلة الماضية. وهي تغييرات تخص كل الأعداء في الشمال، وخصوصاً إيران. ويسود انطباع بأن قيادة العدو، بالتعاون

في سوريا، أصاب العدو في الخريف الماضي، مركزاً يديره الحرس الثوري الإيراني، لكن كان فيه كوادر من حزب الله. صحيح أن العدو يحرص على عدم إيذاء عناصر الحزب مباشرة، لكنه يرتكب الأخطاء، عمداً أو سهواً. وهو يعرف بأن عليه تحمّل مسؤولية ما يقوم به. ولمّا حاول في الخريف الماضي تبرير الأمر، وأنه سعى إلى الإبلاغ عن الهجوم قبل حصوله ووصل به الأمر إلى حد الاعتذار عن استهداف شباب المقاومة، إلا أن قيادة حزب الله بعثت برسالة واضحة بأن لكل خطأ ثمناً.

ويومها، سعت المقاومة إلى تثبيت حقها في معاقبة العدو على الخطأ، لكنه عقاب يستهدف ليس حصراً تدفيعه الثمن، بل ردعه ومنعه من تكراره. وكانت عملية أفيفيم، التي لن يصدق أحد – ما عدا المقاومة وإسرائيل – أن عدم وقوع قتلى فيها كان نتيجة خطأ عسكري، لا نتيجة قرار.

اليوم عاد العدو إلى ارتكاب الخطأ نفسه. صحيح، أن الغارة على موقع قرب مطار دمشق مطلع الأسبوع الجاري يبررها العدو بأنها في سياق عمله ضد «التمركز الإيراني» في سوريا، لكنه تصرّف هذه المرة، مصحوباً بمناخات تحتاج إلى تدقيق، ولا سيما «نزعة التفلّت» من القيود السائدة لدى بعض أركان مؤسستيه العسكرية والأمنية، هؤلاء الذين يراهنون بقوة على «تبدلات في المعطيات تسمح برفع سقف المواجهة مع إيران والحزب». وهذه التبدلات، كما يظهر في كل المعطيات المتداولة عند من يهمهم الأمر، تركز على أن حزب الله يمرّ بمرحلة «كبح جراء الأزمات السياسية والاقتصادية والصحية التي تواجه لبنان».

عند هذه النقطة، يجب فهم أن العقل الإسرائيلي كان يعمل وفق قاعدة أن ظروف الحزب في لبنان لا تسمح له بالقيام بـ«ردّ تناسبي» من النوع الموجع بطريقة «تمنّع» العدو من تكرار المحاولة. ورغم ذلك، يلجأ العدو، وكما جرت العادة، إلى استعدادات، أساسها الاتصالات السياسية والعمل السياسي - الأمني الهادف إلى محاولة إقناع الحزب أو «مَن يمون عليه» بعدم الرد؛ وبقية عناصرها تتعلق بالاستعداد لمواجهة قد تبدأ بصدام موضعي وتنتهي إلى جولة قتالية أو ربما حرب واسعة.

ليل الإثنين الماضي، أغار طيران العدو على موقع قرب مطار دمشق. وبعد ساعات، علم الإسرائيليون أن أحد الشهداء هو من حزب الله. فبادرت قيادة قوات الاحتلال ومؤسساتها الأمنية إلى إطلاق برنامج عمل أساسه الاستنفار والاستعداد على طول الجبهة الشمالية، متوقعين رداً من قبل المقاومة. وقد شملت الإجراءات الميدانية والاستطلاعية التقنية كل المنطقة الممتدة من ساحل الناقورة غرباً في لبنان حتى الحدود الشرقية للجولان السوري المحتل، وكل المنطقة المتاخمة للحدود. وتزامناً، باشرت قوات الاحتلال تنفيذ خطة وقائية تشمل المستوطنات المليئة بالسكان والقواعد العسكرية ونقاط المراقبة الحدودية. كما سارعت إلى الطلب من القوات الحليفة أو الصديقة، من الجيش الأميركي في قاعدة التنف إلى قوات الطوارئ الدولية العاملة في جنوب لبنان، القيام بما يسمح بتكوين صورة واقعية ودقيقة عما يمكن أن يقوم به حزب الله. وفي جنوب لبنان، وصل الأمر بعدد من مراقبي القوات الدولية إلى القيام بدوريات مكثفة في نقاط محددة، حيث يعتقد العدو أن رجال المقاومة يمكن أن ينتشروا فيها أو أن يتموضعوا لأجل القيام بعمليات عسكرية.

لكن العدو سعى في المقابل إلى رهن خطواته بأشياء أخرى، من بينها مراقبة تصرفات وتصريحات قيادة حزب الله. وبعدما تنفّس بعض قادة العدو الصعداء عند انتشار البيان الأول لنعي الشهيد علي محسن، بالقول بأنه سقط أثناء قيامه بواجبه الجهادي، عاد التوتر مع انتشار بيان نعي جديد، يقول بأن الشهيد سقط جراء الاعتداء الإسرائيلي. لكن العدو ازداد ارتياحاً وقلقاً عندما تم توزيع البيان الجديد من قبل جهات في إعلام المقاومة، ولكن ليس عبر بيان رسمي. فيما ترقب العدو خروج الأمين العام للحزب السيد حسن نصرالله لإطلاق موقف من المسألة، وهو ترقب مستمر إلى الآن. ففي دائرة القرار عند العدو، ثمة مَن يفكر بأنه في حال أظل السيد حسن، فسوف يحسم الأمر. فيما يعتقد بعضهم، أو يراهن، على أن عدم صدور موقف رسمي أو خطاب علني، يُبقي الباب مفتوحاً أمام خيار «عدم الرد» أو «الرد الشكلي». وفي هذه النقطة، سرعان ما يعود العدو ليقدّم رهانه ربطاً بالأوضاع الداخلية للبنان. وكان أبرز من تناول هذا الموضوع هو قائد المنطقة الشمالية في جيش العدو أمير برعام الذي قال لـ«هآرتس» إن لبنان يعاني أوضاعاً صعبة للغاية وإن حزب الله لديه انشغالاته الداخلية الكثيرة التي تقيده. لكن الجنرال نفسه عاد ليتحدث عن الخطرين الرئيسيَين: «قوات الرضوان والصواريخ الدقيقة». ومثل كل قائد عسكري أو مسؤول أمني لدى العدو، فإن ذكر الرضوان والصواريخ يجب أن يعالج بجرعة من التهديدات الكبيرة. وهي تهديدات يريد قادة العدو الرد من خلالها على ما يعتبرونه «الحرب النفسية التي يقودها حزب الله ضدنا». قال برعام: «نصرالله هو بطل العالم في الحرب النفسية»!

عند هذه النقطة، يمكن العودة مرة جديدة إلى العقل الإسرائيلي. الآن، حين يرفع جيش الاحتلال من مستوى استنفاره على الحدود مع لبنان، ويعزز قواته العسكرية والأمنية وأذرع جيشه كافة، لا يزال مصدر القلق «الإدراك العميق بأن الردّ آت». لكن ما يزيد من القلق هو «صمت حزب الله». في المرة السابقة، أطل السيد حسن نصرالله وقال لهم: «انتظرونا على إجر ونص»!. هذه المرة لم يقل لهم ذلك، لكنهم لا يتحملون هذا المستوى من «التأديب قبل العقاب». ربما الناس عندنا، أو حتى المستوطنون، يعتقدون أن عملية إخلاء عسكرية وأمنية لمنطقة حدودية شاملة وبعمق عدة كيلومترات، أمر سهل. بينما هو في حقيقة الأمر عمل منهك على الصعيد اللوجستي، ومكلف مادياً، لكن الأهم، هو إهانة كبيرة لجيش يعتد بنفسه ويأتي من يلزمه بالاختباء لفترة غير محددة. وهذا بالضبط ما حاول العدو القيام به منذ ليل الإثنين الماضي. أي أن يقوم باتخاذ تدابير وإجراءات احترازية، تزيل أهدافاً محتملة من أمام مهداف حزب الله، لكنها لا تلزمه «الخضوع» لعقاب «الإجر ونص».

عملياً المشكلة في العقل الإسرائيلي ليست في كونه «لا يفهم على حزب الله»، بل في كونه لا يزال يتجاهل قاعدة رئيسة تقوم على فكرة المراكمة في الإنتاج وفي تثبيت الوعي وفي تثبيت الحق في المقاومة. وبالتالي، فإن قواعد الاشتباك التي قامت مع الوقت، منذ عام 1982 إلى الآن، إنما حصلت بجهد وتضحيات قلّ نظيرهما في تاريخ الصراع مع العدو. وكانت المقاومة على الدوام تعرف أن هناك كلفة كبيرة، ليس لعمليات المقاومة وحسب، بل لحماية منجزات المقاومة. وهذا ما تدرّج في حماية الناس منذ عام 1993 إلى اليوم، كما هو الحال بالنسبة إلى ملف الأسرى في سجون العدو. وبالتالي، فإن العدو الذي يفهم عقل المقاومة، عليه أن يدرك حقيقة مركزية تتعلق بأن أصل الرد ليس سببه «صورة أمام الجمهور». صحيح أن هذه الصورة أساسية، لكنها لم تكن لتوجد لولا أن الحزب يقدر على توفيرها وعلى حمايتها. وهذا يقود إلى استنتاج بسيط وسهل، ولكن قاسٍ بالنسبة إلى العدو، ومفاده: أن كلفة عدم الرد هي الأعلى وهي التي تجر خلفها أكلافاً كثيرة في كل الأمكنة، وليس على جبهة الاحتلال فقط. وبالتالي، عندما قرر الحزب، وخرج السيد حسن في خطابه الحاسم، لم يقم بذلك انفعالاً أو تحت ضغط الناس. إنما فعل ذلك انسجاماً مع المسار المفترض لحماية منجزات المقاومة. وهذا ما يجعل عدم الرد غير وارد على الإطلاق.

أما عن الرد وكلفته، فهناك محاولة إسرائيلية لتهديدنا بكلفة مفترضة مسبقاً، والقول لنا، بأن حق الرد صار مكلفاً أكثر مما تعتقدون. ومن قال له بأنه مكلف بأكثر مما نعتقد؟ وهل لديه يقين بأن كلفة الرد على رده، ستكون متناسبة مع قدرته على التحمل؟ ومن قال بأن جبهته الداخلية أكثر تحصيناً من جبهتنا الداخلية؟ ومن قال بأن مشاكله السياسية والاقتصادية والصحية ليست قائمة ومؤثرة في كل ما يقوم به اليوم؟ والأهم، من قال للعدو أو أفهم قادته، بأن عدم الرغبة في إشعال الجبهة يعكس ضعفاً في الإرادة أو في الإمكانات؟ هذا هو موقع الاختبار الفعلي هذه الأيام.

وما ينبغي قوله عن «فلسفة الرد»، هو ما يجب أن يكون واضحاً ليس عند العدو وحده، بل عند الجمهور اللبناني، سواء عند الذين يؤمنون بخيار المقاومة وقدراتها وكلفتها، أو عند الذين ينشطون اليوم ضمن الاستراتيجية الأميركية - الإسرائيلية - السعودية التي تحاول تحميل المقاومة كلفة الخراب الاقتصادي في البلاد.

بالنسبة إلى جمهور المقاومة، الأمر واضح وليس فيه من جديد. هو برنامج مديد، مرّ عليه جيلان، وتنتظره أجيال حتى إنهاء ما يُسمى «إسرائيل». وعندما نخطط للمقاومة لرد معيّن، فهي تأخذ في الاعتبار كل العناصر المرتبطة بهذا الرد. وتضع في حساباتها أن العدو قد يرتكب حماقة إضافية ويذهب إلى مواجهة. ومثل المحطات السابقة، فإن المقاومة تنتظره بما لا يسرّه ولا يسرّ حلفاءه هنا أو في البعيد.

أما بالنسبة إلى الذين يعتقدون أنهم يقدرون على إطلاق حملة تستهدف المقاومة وتهدف إلى منعها من ممارسة حقنا جميعاً بالدفاع عن أنفسنا، فهؤلاء فاتهم أنها لن تكون المرة الأولى التي يعمدون فيها إلى هذا الفعل الشنيع. ومن نسي منهم، فليعد إلى وثائق ويكيليكس التي تفضح رغباتهم بنجاح حرب العدو. وهؤلاء، ربما عليهم هذه المرة، التنبه إلى أن خيانتهم لا يمكن أن تبقى كل الوقت من دون حساب، حتى ولو كانت قيادة المقاومة دائمة الرأفة بهم.

الحاصل في الساعات الماضية، أن العدو سرّع من الإجراءات التي ستقود حتماً إلى عملية إخلاء غير معلنة لكل المواقع في المنطقة الشمالية. لقد التزم العدو قرار التأديب الذي بات معروفاً بإجراء «الإجر ونص»، حتى ولو كان يحاول القيام به من دون ضجة ليمنع العار عنه. لكن ما يقوم به بدأ يبث الذعر أكثر لدى المستوطنين. وهي إجراءات تحاكي «تقديرات استخباراتية» بأن الرد حاصل. وإذا كان إعلام العدو حاول ملء الفراغ الرسمي، وعمد إلى نشر تصورات وسيناريوهات لرد المقاومة، لكنها تقع جميعاً، ضمن الصندوقة نفسها. المخيلة الإسرائيلية، لا تقترب - أو هي لا ترغب بالاقتراب - من ملامسة احتمالات تعكس «عقل الصدمة» التي مثّلته عمليات المقاومة على مرّ السنين. ربما يجدر بقادة العدو فهم أن «صمت المقاومة» هو أيضاً جزء من الحرب النفسية التي تسبق عادة أي عمل تقرر القيام به. لكن تُرك لمَن بيدهم الأمر اختيار اللحظة المفيدة للبعث برسالة واضحة لا تحتمل التأويل... لننتظر!

(أ ف ب)

تقرير

(أ ف ب)

تحذير لو دريان من خروج الأزمة عن السيطرة: المسؤولون يدورون حول أنفسهم

لم يحمل وزير الخارجية الفرنسية جان إيف لو دريان أيّ مبادرة إلى لبنان. لكن ما خرج به يوازي بالأهمية التحذيرات التي حملها. خلاصة الزيارة أن هناك خوفاً من خروج الأزمة عن السيطرة، وأن المسؤولين في لبنان يدورون حول أنفسهم

هيام القصيفي

غرقت بعض الأوساط اللبنانية قبل مجيء وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لو دريان، في متاهة معلومات مغلوطة عن الحركة الفرنسية تجاه لبنان والكلام عن مبادرات ومساهمات كبيرة لإنقاذ الوضع. حتى إن الحركة المالية تأثرت به كما المصارف التي اعتقدت أن هناك فرصة لإعادة ترتيب أوضاعها. رغم أن لو دريان كان واضحاً في حدّته وكلامه المباشر قبل مجيئه الى لبنان وبعده، في أن تحرك فرنسا محصور بحثّ اللبنانيين على مساعدة أنفسهم مع جملة ملاحظات سلبية عن اداء المسؤولين اللبنانيين. إلا أن ثمة من أراد أن يحيّد زيارته وما جرى فيها عن مسار فرنسي بدأ مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، قبل أسابيع، وانتهى بهذه الزيارة، التي أشاعت في ختامها تشاؤماً ونظرة سلبية الى الآمال التي كانت معقودة خطأً عليها. فعاد لبنان الرسمي ليواجه، بمفرده، استحقاقات يتحمل هو بنفسه مسؤولية ما وصلت إليه. لم يأت وزير الخارجية الفرنسي حاملاً خطة إنقاذ، بل قام بزيارة استطلاعية ولإبلاغ المسؤولين في لبنان تحذير فرنسا من استمرار المراوغة والفساد والهدر والتخبط العشوائي في إدارة الأزمة. ما خلا ذلك، لا مساعدة فرنسية عملانية سوى إنسانية - اجتماعية تتعلق بالقطاع التربوي، وزيارة مؤسسة عامل تتعلق بروابط قديمة في إطار الصداقة الفرنسية مع المؤسسة والدكتور كامل مهنا.

لكن في مقابل «صدمة» المسؤولين اللبنانيين وفشلهم في استثمار الزيارة الفرنسية لمصلحتهم، وسط مطالبتهم بتحمل «الدول الصديقة» مسؤولية إنقاذ لبنان، خرج لو دريان والوفد بانطباعات عن اللقاءات التي عقدها. فما هي، وما هي المخاوف التي عبّر عنها؟ في معلومات كشفتها مصادر فرنسية مطّلعة لـ«الأخبار» أن «الانطباع هو أن من غير المعروف أين هي صناعة القرار في لبنان. فصناعة القرار لا تبدو واضحة، لا موقع ولا مقاربة حقيقية لواقع الأزمة». وتضيف «لا رؤية موحّدة لدى المسؤولين اللبنانيين في ما يريدونه أو في ما يعرضونه. صحيح أن لا خلافات كبيرة بين المسؤولين في ما سمعه الفرنسيون، لكن المقاربات مختلفة تماماً، والأولويات لدى هؤلاء المسؤولين ليست هي نفسها». وتشير المعلومات الى أن الانطباع الحقيقي «هو أن هناك ضياعاً لبنانياً، وأن المسؤولين في لبنان يدورون حول أنفسهم، فيما الأزمة في مكان آخر». الكلام عن الأزمة التي حدد لو دريان معالمها بوضوح في كلامه العلني، يخلص الى نتيجة أخرى: «التحذير الفرنسي ناجم عن خوف باريس من أن تخرج الأزمة الحالية عن السيطرة، فلا يعود في إمكان اللبنانيين أو الدول الصديقة مساعدتهم للجمها. وخروج الأزمة يعني أن التفلت سيصيب كل القطاعات. والأكيد تكراراً أن الخوف من خروج الأمور عن السيطرة غالب لدى الفرنسيين، وهناك خوف من التفلت الأمني ليس لجهة اندلاع حرب، بقدر ما هو تفلت أمني داخلي نتيجة الوضع الاجتماعي والمالي الذي يتفاقم انهياره، ما يؤدي تلقائياً الى توترات أمنية داخلية».

أما النقطة الثانية فهي أن الوزير الفرنسي لم يتعامل مع موضوع الحياد إلا بطريقة دبلوماسية. وخلاصة تلميحاته حول هذا الموضوع أن «لبنان لم يتمكن من تطبيق سياسة النأي بالنفس، رغم أن هذه الصيغة كانت ترضي الدول الإقليمية والدولية، وتحافظ على أوضاع لبنان ولم يكن صعباً الحصول عليها واعتمادها، في مرحلة مختلفة تماماً عن المرحلة الحالية بما تحمل من مخاطر وتحديات. فكيف بالحري في موضوع الحياد الأصعب داخلياً وإقليمياً ودولياً، فيما لبنان يعيش أسوأ أزماته؟ فهناك أمور صغيرة وخلافات أصغر بذلك بكثير ولم تحلّ، فكيف يمكن التعامل مع قضايا كالحياد في هذه المرحلة الحساسة؟».

النقطة الثالثة التي أشار إليها لو دريان هي أن موقف باريس من تغيير مهمة القوات الدولية في الجنوب هو أقرب الى الموقف اللبناني، في الحفاظ على مهمة اليونيفيل ودورها والحفاظ على القرار 1701 كما هو. لكنه نبّه من أن لدى الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا مقاربة مختلفة للتجديد، لكنهما لم تقولا رأيهما النهائي بعد منها.

على الغلاف

ملخص اجتماعات الحكومة - المصارف: البنوك مصرّة على السطو!

لا تحوي اجتدات جمعية المصارف وممثليها والدائرين في فلكها أيّ اعتبار لمصالح الشعب والمودعين ولا لمصير دولة كاملة. فخلاصة الاجتماعات التي أجريت على مدى أسبوع، بين المصارف والحكومة، أن البنوك مصرّة على السطو على أملاك الشعب، وبالقيمة المقدّرة لها حالياً، أي بأبخس الأثمان

رلى ابراهيم

طوال الأسبوع الجاري، خاضت الحكومة ممثّلة بوزير المال وفريق المستشارين مفاوضات مع ممثلين عن مصرف لبنان وجمعية المصارف في محاولة للخروج باتفاق يعيد إحياء المفاوضات مع صندوق النقد الدولي. بدا واضحاً من سياق سير النقاش بين الطرفين أن المصارف مصرّة على التنكر لوجود أي أزمة، وتسعى إلى مراكمة مزيد من الأرباح على جثة الدولة اللبنانية. ثمة من يقول هنا إن الرؤساء الثلاثة، ولو أنهم يقفون - إلى الآن - سداً في وجه استحواذ المصارف على أصول الدولة وممتلكاتها، فإنهم لا يزالون بمنحون المصارف ترف تقرير مصيرها ومصير شعب كامل عبر فرض شروطها، فيما يستوجب الأمر قراراً سياسياً حازماً يجبر البنوك على الإذعان لما تقرره «الدولة». فحتى الساعة، تخضع الأخيرة لـ«بتزاز المصرفيين الذين شكلوا «لوبي» نيابياً ساندهم في ضربتهم هم ينفذون الضربة الثانية بربطهم «سرقة» عقارات الدولة وعائداتها باستئناف المفاوضات، أي بمعنى آخر: أعطونا ممتلكات الدولة لنوافق على مناقشتكم بالطريقة التي نراها مناسبة. وتشير المصادر إلى أن الوضع اليوم مشابه لمرحلة «ابتداع لجنة لتقصي الحقائق بحجة توحيد الأرقام، ولكن هدفها إسقاط المفاوضات مع صندوق النقد ودفن الخطة الحكومية لإنقاذ المصارف». فقد أوحى اجتماع أمس، وهو الاجتماع الأخير هذا الأسبوع، بأن المصارف لا ترغب بمناقشة أي فرضية، وتربط بين استيلائها على الأصول وبدء المفاوضات. وحتى عندما دعاها رئيس الحكومة حسان دياب إلى الانتقال للحديث عن المسارات البديلة، رفض ممثلو جمعية المصارف الأمر واعادوا النقاش إلى الطرح الرئيس بالنسبة إليهم أي أملاك الدولة. كرّر دياب عدم موافقة الرؤساء الثلاثة على بيع الأصول، مضيفاً أن «البرلمان لن يقبل بإجراء مماثل»، لأن بيع الأصول أو استعمالها بحاجة إلى قانون يوافق عليه مجلس النواب. غير أن المصارف تحدّثت بثقة تامة عن خطا استباق هذا الموضوع، بما يقود إلى الاعتقاد أنها مطمئنة إلى أن عدداً كبيراً من النواب سيساندونها في معركتها الرامية إلى السطو على الأملاك العامة. وخلص الاجتماع إلى مراوحة الأمور في مكانها، مع خرق صغير تمثل باستجابة المصارف لطلب الحكومة تقديم المستندات اللازمة التي تم الركون إليها لتحديد بعض الأرقام في الخطة الحكومية، يوم الإثنين المقبل.

خلال الجلسات التي عُقدت على مدى خمسة أيام بين الفريقين، تمسّك حزب المصارف بنقل 40 مليار دولار من قيمة الأصول على شكل عقارات لا مؤسسات عامة. وقد أبلغ ممثلو الجمعية الوفد الحكومي عدم اكتفائهم بالعقارات وحدها، بل إلزامية الاستحواذ عليها مع عائداتها، أي أن المصارف لن تقبل بالحصول على العقار وحده في حال كان تشغله أي جهة أو مؤسسة، بل يفترض أن تحصل على العقار والأرباح الناتجة عنه في آن. وقد جرى التركيز على كل من الواجهة البحرية والمرفأ وعائداتهما. ووفق المصارف، فإن تخمين سعر العقارات والأصول يجب أن يتم وفق ما تساويه في الوقت الحالي، أي في عزّ الانهيار وانخفاض قيمة هذه الممتلكات مع نفور المستثمرين، غير مبالية بحرمان الخزينة من بعض المليارات التي لا تزال تدخل إليها. أما كيفية استخدام هذه الأصول، فيترتب على مصرف لبنان - نقلاً عما أبلغته المصارف للمجتمعين - أن يعمد إلى الاستحواذ على العقارات في حال عدم تحصيل أي عائدات منها، وفي حال تعذّر دفع الدولة للمركزي. ونظراً إلى تعذر تسديد مصرف لبنان هو الآخر لقيمة السندات المتوجبة عليه للمصارف، ستصبح هذه الأصول ملكاً للمصارف التي ستوزعها أسهماً على كبار المودعين، ما يعني وضع أملاك كل الشعب اللبناني في حوزة أقل من 1% من المودعين الذين يشكل المصرفيون أنفسهم جزءاً كبيراً منهم. وتلك عملية «احتيال أخرى» تسعى المصارف لإمرارها من أجل تكديس أموال إضافية في ثروات أصحابها، لتكون النتيجة أن من استفاد من الفوائد عبر السنين، ورفع قيمة الدين العام بالاتفاق مع مصرف لبنان، يمعن في تعميق أزمة الدولة المفلسة عبر شراء أصولها بقيمة بخسة. اللافت أن أصحاب المصارف واصلوا الدفاع بالحماسة نفسها، حتى حين أبلغهم الوفد الحكومي تمسك الرؤساء الثلاثة بالأصول وسحبها من إطار التفاوض ورفضهم وهب 40 مليار دولار للمصارف من دون أي تبرير حول كيفية الوصول إلى هذا المبلغ.

المصارف تريد رفد مجموع رساميلها المقدّرة بـ 20 مليار دولار، بما قيمته 40 مليار دولار إضافية. وهو ما دفع بالوفد الحكومي إلى إنهاء المفاوضات والوصول إلى اتفاق شامل حول الأرقام والخطة والمبلغ المنوي شطبه من قيمة الدين الحكومي لتحديد قيمة الدين المتوجب على الدولة ثم الانتقال إلى المرحلة الثانية، إلا أن المصارف رفضت ذلك وأصرّت على الـ40 مليار دولار مسبقاً. وسأل ممثلو المصارف عن جدوى احتفاظ الدولة بممتلكاتها، فالأمر «بمثابة استراتيجية خاطئة ويرتب عبئاً عليها»، لافتين إلى أن «قيمة هذه الأصول تفوق قيمة الدين العام، ما يعني أن الأربعين ملياراً لن تساهم في إقفار الدولة التي ستحتفظ ببعض العائدات»! وقاموا بتخيير الحكومة ما بين بيع الأصول بنفسها لتسديد الأربعين مليار دولار لهم، وبين وضعها في عهدة مصرف لبنان ليكون وسيطاً بينها وبينهم. مجدداً، امتنع الوفد عن القبول بتحميل المواطنين والأجيال المقبلة تكلفة «التصحيح عبر فرض ضرائب مستقبلية عليهم ووضع صندوق الدولة المكوّن من عقارات وشركات منتجة في يد فئة صغيرة جداً». وأوضحت بما لا لبس فيه «غير قابلية الأصول للبيع».

في المقابل، بدا «التناغم واضحاً بين ممثلي مصرف لبنان والمصارف، وسط لجوء المصرف المركزي إلى الصلاحيات التي يعطيها له قانون النقد والتسليف لإعداد خطة إعادة هيكلة للمصارف وحيداً من دون أي تدخل من الدولة.

وجرى الحديث في المفاوضات عن «عملية الاحتيال» التي شارك فيها مصرف لبنان والمصارف عبر إقراض الدولة بفوائد عالية، مع معرفتهما المسبقة بعدم قدرتها على السداد وبما تسبب بأزمة وانهيار مالي. عندها ادعت المصارف أن سلامة «كان يجبرها على توظيف أموالها لديه». هذا الكلام استدعى استهزاء من الوفد الحكومي الذي عاود تأكيد علم المصارف بالعملية التي كانت تجري، متحدثاً عن خطورة تفرد الحاكم بإعداد خطة إعادة الهيكلة، ومن دون التنسيق مع الحكومة وصندوق النقد. ولفت الوفد الحكومي في سياق آخر، إلى أن لا فرق بين الدولة ومصرف لبنان بمعنى عدم جدوى تجزئة الدين. «فصحيح أن الدولة هي التي استدانت إلا أن سلامة قام بتركيب معادلة مربحة للمصارف عبر الاستدانة بفوائد عالية منها ثم إقراض هذه الأموال للدولة. والطرفان أي سلامة والمصارف، مدركان لما كان يحصل ومتفقان على هذه اللعبة سوياً». وقد شددت الحكومة على عدة نقاط رئيسة في مفاوضاتها مع مصرف لبنان والمصارف، أبرزها:

- استحالة تسديد القيمة الكاملة للدين العام وضرورة شطب جزء من هذا الدين لإعادة تنشيط الاقتصاد.

- ضرورة إجراء إصلاحات هيكلية وبنيوية.

- المساعدات المالية الأجنبية مربوطة بصندوق النقد.

- «الهيركات» الذي تعتزم المصارف تنفيذه بحق الودائع أكبر أربع مرات من «الهيركات» الحكومي.

وفيما تحدد الخطة الحكومية قيمة الخسائر بطريقة واضحة وشفافة، لا أرقام واضحة في خطة المصارف أي أن لا حدود للخسائر المترتبة على المودعين.

- «الهيركات» الذي تقوم به جمعية المصارف بطريقة ضمنية يقود إلى تصفير خسارات المصارف، ولكنه يخفّض قيمة حساب المودع الذي سيجد أن حسابه بات من دون أي قيمة تُذكر. فيما استمرار المصرف المركزي بطبع الليرة سيقود إلى تضخم مفرط بعد عام، في مقابل خطوة «تليير» الودائع لإطفاء الخسائر.

- ادّعاء المصارف بأن الوقت كفيل باسترداد الثقة الدولية والمحلية مخالف للمنطق المالي والدولي، فلا ثقة سوى بتنظيف النظام برمّته.

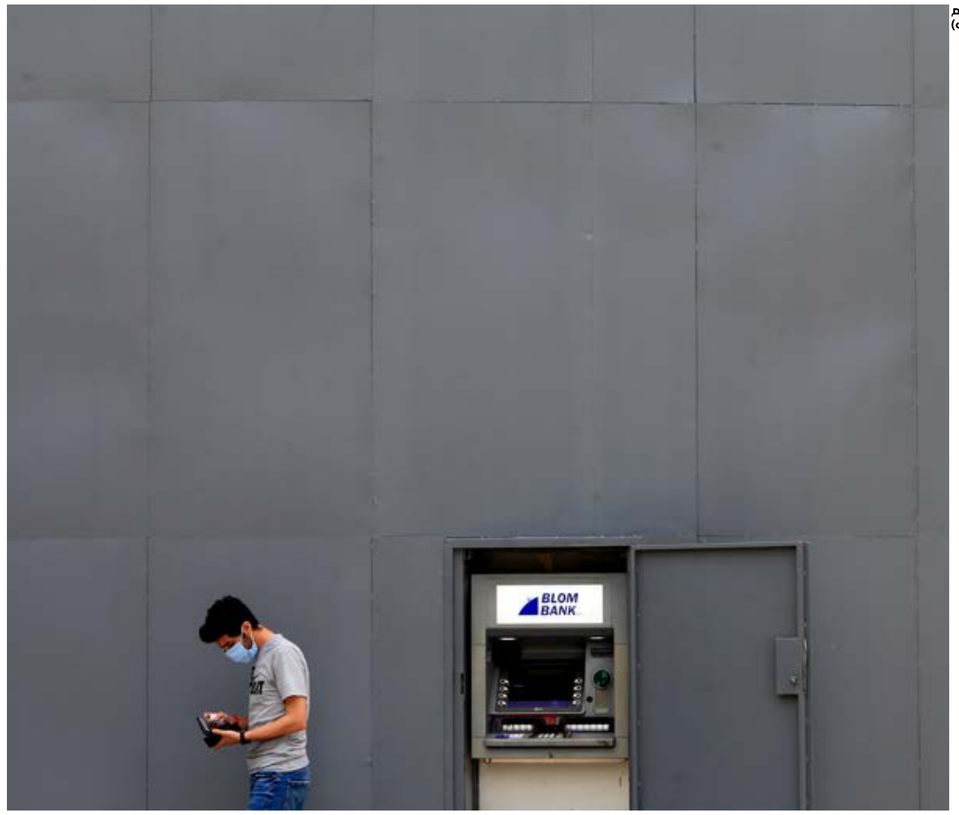

(هيثم الموسوي)

> رفضت المصارف طلب دياب الانتقال لمناقشة المسارات البديلة

«العمل الاميركية» توبّخ صفير!

عقد رئيس جمعية المصارف سليم صفير، قبل يومين، اجتماعاً عبر الفيديو مع مجموعة الدعم الأميركية للبنان (American Task Force for Lebanon) لشرح خطة جمعية المصارف المقترحة للخروج من الأزمة. ورفض صفير على ما صرّح به، «أي اقتطاع من الودائع» التي يحتجزها هو وزملاؤه من أصحاب المصارف ويفرضون على المودعين اقتطاعاً منها عبر تسليمها بالليرة اللبنانية التي تهاوت قيمتها. وأوضح «أن الجمعية رفضت أي تخلف عن سداد الديون الخارجية واعتبرت أنه يشكل تهديداً لمدخرات المودعين». صفير الذي لا يزال يتنكر لمشاركة المصارف في الأزمة التي يعاني منها لبنان، رأى أن «الطبقة السياسية الحالية تسعى إلى نقل مسؤولية الأزمة التي تسببت بها إلى المصارف». ونقلت صحيفة «داييلي ستار» عن رئيس جمعية المصارف قوله: «إن تخلف الدولة عن السداد في آذار لم يكن ضرورياً»، منوهاً في المقابل بـ«المتانة والمناعة اللتين أثبتتهما المصارف اللبنانية في وجه الحروب والأزمات السياسية المتتالية على مدى السنوات الماضية». وكشف أن «إجمالي الودائع المصرفية تراجع من 173 مليار دولار في أيلول 2019 إلى 150 مليار دولار حالياً بتراجع لا يُعتبر كبيراً، وخصوصاً أن قسماً كبيراً من الأموال استُعمل لتغطية ديون بالعملات الأجنبية». ما صرّح به صفير يجافي الحقيقة، على ما كشفت مصادر مطلعة على اجتماعه مع مجموعة الدعم الأميركية. فقد حاول صفير العزف على الوتر السياسي الذي يفضّله الأميركيون قائلاً: «نرفض أن نكون ضحية لسياسة إيران». لكن ردّ مجموعة الدعم أتى مفاجئاً لتوقعات صفير، إذ أبلغته أن «العائق الرئيس في لبنان هو الفساد وليس إيران». وأكدت المصادر أن «العرض الذي قدّمه رئيس جمعية المصارف لم يكن مقنعاً».

(الأخبار)

عجز الحسابات في الخارج: البنوك توقف «الكريديت كارد» بالدولار

الأصول في العمل المصرفي تفترض أن لا تضع المصارف أكثرية ودائع الناس في «سلّة واحدة». عملاً بمبدأ «توزيع المخاطر». العكس هو ما قامت به المصارف اللبنانية إذ رهنت أغلبية أموال الناس لدى مصرف لبنان. بعد أن كانت في الماضي توظّف 23٪ منها في الخارج. وحين اشتعلت النيران في «بيت المال»، لم يبقَ شيء للإنقاذ

ليا القزي

لم يتمكّن أحد عملاء «بنك بيروت» من تجديد اشتراك شهري في أحد التطبيقات الأجنبية، الموصولة إلى بطاقة الائتمان بالدولار الأميركي. «البطاقة مرفوضة»، هي الرسالة التي وصلته. علماً بأن البطاقة نفسها كان قد جدّدها المصرف قبل مدّة قصيرة وقبض الرسوم المتوجبة عليها، من دون أن يُبلغ العملاء أي نية لإدخال تعديلات على طريقة عملها. تماماً كما مَسحها من النظام المصرفي من دون إعطاء أي «علم وخبر»، أو إعادة الرسوم التي دُفعت. لماذا؟ لم يحصل الزبون على جواب واضح سوى أنّ الاتجاه لدى العدد الأكبر من المصارف هو لإلغاء الـ«كريديت كارد». ولكن ما لم يقله المسؤولون في المصرف المذكور - وعددٌ من المصارف الأخرى - إنّها طريقتهم الوحيدة لمنع الدفع ببطاقات الائتمان خارج لبنان نهائياً، بعد أن فرضوا ضوابط على المبلغ المسموح به شهرياً، إلا إذا كانت بطاقات لحسابات «الدولارات الطازجة» (Fresh Money). وما السبب الذي يدفع المصارف إلى هذا الإجراء؟ لأنّ المبالغ المودعة لدى المصارف المراسلة الأجنبية (Correspondent Banks) لم تعد كافية لتسديد التزامات المصارف المحلية، والأخيرة تُريد أن تُخفّف قيمة التزاماتها في «الخارج»، وواحد منها هو الدفوعات «ما وراء البحار» عبر بطاقات الائتمان.

قصّة بطاقات الائتمان بالعملة الأجنبية، تُشكّل «قشرة» واحدة من سلسلة مشاكل المصارف التجارية اللبنانية مع المصارف المراسلة، التي تعمل كوكيل للبنك المحلي في الخارج. ويُبرم المصرف اتفاقية مع مصرف مراسل لتقديم خدمات تحويل الأموال وتمويل التجارة الخارجية، فتكون مصارف المراسلة الضامن لتسديد مبلغ إلى أحد المُصدّرين، بالاتفاق مع المصارف اللبنانية التي تكون الضامن لتسديد المبلغ من قبل المستورد.

التطورات السلبية على هذا الصعيد ليست جديدة، بل تعود إلى نهاية العام الماضي، منذ أن خُفّضت وكالات التصنيف الائتماني تصنيف لبنان، وبات على المصارف المراسلة إما زيادة قيمة الضمانات التي تحصل عليها من نظيراتها اللبنانية لفتح الاعتمادات أو تتشدّد أكثر في إجراء التحويلات وفتح الاعتمادات للمصارف اللبنانية. ما دفع هذه الأخيرة إلى الطلب من البنك المركزي، في كانون الأول 2019، الحصول على السيولة بالدولار من أجل تسديد التزاماتها في الخارج. الحاكم رياض سلامة «أحكم قبضته» على الدولارات المتبقية في حساب الاحتياطي في «المركزي»، رافضاً تحريرها إلا لقاء فائدة تبلغ نحو 20 في المئة، على قاعدة «دُبّروا أمركم». استمرت العلاقة بين المصارف المحلية والخارجية بالتدهور، إلى أن انتقلت «المراسلة» إلى مرحلة تشديد العمليات وتأخير إتمامها، بعد أن كانت بحاجة في السابق إلى أيّام قليلة. وباتت تمنع عملية الـ«Nesting»، أي العمليات التي تقوم بها مصارف لبنانية، عبر مصارف مراسلة عالمية، لحساب مصارف لبنانية أخرى لا تربطها اتفاقات بمصرف مراسلة («الأخبار»، 6 حزيران 2020).

في آخر أرقام أصدرها مصرف لبنان عن الفترة السابقة لأيار 2020، بلغت موجودات المصارف اللبنانية لدى المصارف المراسلة 4,7 مليارات دولارات أميركي، مُقابل التزامات بقيمة 7,8 مليارات دولار أميركي. أي أنّه، قبل شهرين، كان العجز يُقارب الـ3 مليارات دولار. لا يتوقّع أحد المصرفيين أن ترتفع نسبة العجز «بل سيبقى الفارق بين الالتزامات والموجودات ضمن هذا الهامش لأنّه لا توجد اعتمادات جديدة تُفتح في الخارج». ويشرح كيف أنّ البنوك «حاولت عدم الوصول إلى حالة تعثّر مع مصارف المراسلة، فكانت تُعزّز حساباتها في الخارج إما من خلال الدولارات الطازجة التي كانت تجتذبها من بعض الزبائن (كالمُنتج الذي يسمح بمضاعفة الأموال الجديدة بالدولار بنسبة تصل إلى 2,9 مرّة)، أو تبديل المبالغ بالليرة إلى الدولار لدى الصرّافين وبسعر صرف مرتفع للدولارات، قبل تحويلها إلى الخارج». ويزيد بأنّ عدداً من المصارف «توصّل إلى اتفاق مع المصارف المراسلة، يقضي بإعادة جدولة الدفوعات المستحقة، وتقسيطها على فترة زمنية مُعينة». تخفيض نسبة الأعمال بين المصارف اللبنانية وتلك في الخارج ليس مشكلة بحدّ ذاته، «طالما أنّنا لا نتخلّف عن تسديد الالتزامات»، يقول المصرفي قبل أن يُضيف إنّ «التأثير الذي سنشهده هو على عمليات الاستيراد، التي ستنخفض أكثر فأكثر، ويُمكن أن نشهد انقطاع مواد مُعينة».

في آخر عام 2010، كانت المصارف توظّف 23% من نسبة ودائع الناس لديها في الخارج، «ما يوازي اليوم 27,6 مليار دولار، إذا حسبنا أنّه حتى بداية الأزمة كانت الودائع تبلغ 120 مليار دولار»، يقول الوزير السابق منصور بطيش. بدأ الرقم بالانخفاض منذ عام 2011، حين خالفت المصارف الأصول التي تقضي بتوزيع وتنويع المخاطر، «أي عدم جواز توظيف أكثر من 20% من قيمة الودائع في مكان واحد»، وباتت تُوظّف ما يُقارب الـ70% من ودائع الناس في مصرف لبنان «بسبب الفوائد المرتفعة التي كان يُقدّمها لها، في وقت أنّها لم تكن تنال على ودائعها في الخارج أكثر من 1%». تعمل المصارف «اللبنانية» بعقلية المُرابي المُنعزل عن مُحيطه، والذي لا يهتم بنموّ الاقتصاد الكلّي للبلد، وتنشيط بقية القطاعات الأساسية، طمعاً بأرباح جنوها من أموال الناس، مقيمين وأجانب. «لو حافظت المصارف على توظيف ما بين 20% و25% من الودائع في الخارج، وكان لدينا هذا المبلغ بداية الأزمة، كم كانت ستختلف الأوضاع؟»، يسأل بطيش.

> وظّفت المصارف 70٪ من الودائع لدى «المركزي» طمعاً بالفوائد العالية

أوجيرو
من عنا
مناقصة عمومية
لتلزيم أعمال توريد وتركيب وتشغيل أنظمة
Charging, Billing, CRM Solution
لزوم هيئة أوجيرو (إعادة)
تدعو هيئة أوجيرو الشركات المتخصصة إلى تقديم عروض بالظرف المختوم وذلك لتوريد وتركيب وتشغيل أنظمة Charging, Billing, CRM Solution.
يمكن الحصول على دفتر الشروط الخاصة بذلك من مركز أوجيرو الرئيسي في بئر حسن - مقابل المدينة الرياضية، الطابق الأول - الغرفة ١١٨ مقابل تسديد مبلغ مالي غير قابل للرد اعتباراً من نهار الخميس الواقع فيه ٢٠٢٠/٧/٢٣ وذلك خلال الدوام الرسمي، على أن يكون آخر موعد لقبول العروض الساعة الثانية عشرة من نهار الخميس الواقع فيه ٢٠٢٠/٨/٦.
تجري جلسة فض العروض الساعة العاشرة تماماً من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٠/٨/٧.
ملاحظة: تقدم العروض لدى أمانة سر الهيئة في الطابق الثاني - الغرفة رقم ٢١٩.

الحصار المصرفي

في بداية تموز الجاري، جرى العمل بقرار مصرف «HandelsBanken» السويدي (من أكبر المصارف، وشريك للعديد من الشركات الكُبرى والمؤسسات المالية. يعمل في خمسة أسواق خارج السويد، هي: الدانمارك، فنلندا، هولندا، النرويج وبريطانيا) بشطب اسم لبنان عن لائحة البلدان المسموح لها القيام بعمليات الدفع عبر الحدود، أكان إرسال الأموال أو استقبالها. القرار أتى في سياق سياسة مصارف في الدانمارك والنرويج والسويد وفنلندا وآيسلندا، منع المعاملات المصرفية مع لبنان. وأخيراً انضمت إلى اللائحة (غير الرسمية) مصارف أوروبية عدّة، أبرزها مصارف في فرنسا، من دون أن تكون الإجراءات التي تفرضها مُستندة إلى قرارات رسمية. وقد علمت «الأخبار» أنّ مصارف «دويتشه بنك» الألماني، و«بنك الإمارات دبي الوطني»، و«بنك قطر الوطني»، باتت تمتنع عن تحويل الأموال إلى لبنان.

قضية

ديوان المحاسبة ينجز قطع حساب 1997: إكراميّات واختلاسات وتجاوز للإنفاق!

مع كل استعادة للحسابات المالية، تتجدّد الأدلّة على الفوضى التي حكمت وزارة المالية لعقدين من الزمن. إنفاق لا يحترم قانون الموازنة وواردات لا تسجّل وسلف لا تدفع. تلك خلاصة إنجاز ديوان المحاسبة لحسابات عام 1997. يبقى عليه تدقيق حسابات 17 سنة. الطريق لا تزال طويلة لإعادة الانتظام المالي، وهذا يفتح المجال أمام من سرق أو هدر المال العام بأن التسوية المالية لا تزال ممكنة

إيلي الفرزلي

في 11 تموز 2019، أنجز ديوان المحاسبة قطع حساب عام 2017. كان الهدف إمرار موازنة 2019 في المجلس النيابي، كي لا تتكرر سابقة إقرار الموازنة دوناً عن قطع الحساب. أما الديوان، فاعتبر أن عملية التدقيق بحساب 2017، بالرغم من أن وزارة المالية أودعت حسابات الأعوام 1997 لغاية

بدران: تسريع التدقيق مرتبط بزيادة عدد المحاسبين

مخالفة تجاوز الإنفاق هي نهج يعود إلى التسعينيات واستمر طوال السنوات التي تلت

2017، تعود إلى رغبته في تلافي أي خلل يمكن أن يتمادى زمنياً في المرحلة المقبلة وينعكس سلباً على إعداد الحسابات اللاحقة.
تم حينها تجاوز مسألة عدم التأكّد من صحة ميزان الدخول، وعدم إمكانية التدقيق بحساب المهمة أولاً، وعدم الالتزام في إنجاز حسابات كل السنوات التي سبقت تسلسلياً، من خلال الإشارة إلى أن

(مروان بو حيدر)

لا حسابات للأعوام بين 93 و96

السنة الأساس التي اعتمدت، أي سنة 1997، تغفل حقيقة أن مشكلة الحسابات تعود إلى عام 1993. لكن وزارة المالية لم تتمكن من إعدادها، لأسباب شرحتها لديوان المحاسبة في كتاب أرسلته له بتاريخ 2020/2/12، وفق الآتي:
غياب ميزان الدخول في حساب مهمة عام 1993.
حسابات بغير طبيعتها المدينة أو الدائنة بسبب تصفير ميزان الدخول وعدم إجراء عمليات التدقيق المحاسبية (السلف الدائمة، القروض، الودائع، المحجوزات...)
وجود نسخَتين عن حسابي المهمة لعام 1996 موقّعتين، لكل منهما مجموع ميزان خروج يختلف عن الآخر، وكلا ميزانَي الخروج لا يتطابقان مع ميزان الدخول المحتَلين لعام 1997.
عدم إمكانية تبنّي الأرقام الموجودة، إذ لا يمكن تبريرها أو إرفاق لوائح اسمية أو مستندات ثبوتية بشأنها.
عدم اعتماد المكننة، ما اضطر فريق التدقيق في وزارة المالية للعودة إلى المستندات الورقية المتوفرة والتي كانت بمعظمها غير صالحة ولا يمكن قراءتها نتيجة حالة التلف الذي تعرّضت له بسبب عدم تخزينها بطريقة صحيحة، إضافة إلى أنها لم تكن كافية بسبب فقدان السجلات نتيجة الحريق الذي تعرضت له دائرة المحاسبة والصناديق وتتابع نقل السجلات من مكان إلى آخر.
اعتماد نظام القيد المفرد في حينه وليس نظام القيد المزدوج.
القرارات القضائية الصادرة عن ديوان المحاسبة والتي أثبتت عدم صحة الحسابات في حينه وتغريم الموظفين القيّمين على هذه الحسابات نتيجة فقدان سجلات المحاسبة.

التقرير «لا يُعتبر نهائياً لصحة الحسابات ولإبراء الذمّة، لكون المسألة مرتبطة بتدقيق حسابات المهمة عن السنوات العشرين الماضية، التي باشرها الديوان».
أنجز قطع حساب 2017 وأقرّه مجلس النواب بالتوافق السياسي، ثم عاد الديوان إلى تدقيق حسابات السنوات التي سبقت. لكن الانتقادات تركّزت على البطء في الإنجاز. مسؤولو الديوان كانوا يردّون بأن إنجاز الحسابات في «المالية» استدعى سنوات، وبالتالي لا يُعقل أن ينجزها الديوان في أشهر. مصادر مطلعة تذكّر بأن «المالية» أعدّت الحسابات التي لم تكن موجودة في الأصل، كما عمدت إلى تدقيق آلاف المستندات والبحث عن أصولها الضائعة وتكوين أرصدة الدخول، بينما يفترض بوظيفة الديوان أن تقتصر على أخذ عيّنات من الحسابات للتحقق من أن الحكومة التزمت بتنفيذ الموازنة. وهذا يعني أن التدقيق في صحة الحسابات ليس هو الغاية، بل التأكد من احترام الحكومة للموازنة وأرقامها. خلفية النقاش أنه طالما الحسابات كلها لم تُدقّق، فإن تحديد المسؤوليات المحاسبية والجزائية يبقى متعثراً. وهذا أمر يُثير الريبة بالنسبة إلى من يخشون التورط في «تسوية مالية» تضيّع الحقيقة. للتذكير، فإن الرئيس فؤاد السنيورة حاول، في عام 2006، بصفته رئيساً للحكومة، شرعنة تصفير الحسابات من خلال تقديم مشروع قانون خاص يتيح لشركة خاصة التدقيق في حسابات الدولة. والأمر نفسه كرره الوزير محمد الصفدي في عام 2011.
بالنتيجة، وبعد مرور نحو عام على إنجاز قطع حساب عام 2017، أنجز الديوان قطع حساب عام 1997 نهاية الأسبوع الماضي، وأرسل تقريراً به إلى رئاسة مجلس النواب. هل هذا يعني أن كل عام سيحتاج تدقيقه إلى عام أيضاً، أسوة بما حصل مع حسابات 1997؟ ينفي رئيس الديوان القاضي محمد بدران ذلك، مؤكداً أن عام 1997 هو العام الأساس، بالنظر إلى المستندات المقدّمة من وزارة المالية، والتي لم يكن من بينها الحسابات السابقة والتي تعود للفترة من عام 1993 لغاية عام 1996، لعدم تمكّن الإدارة المالية من إعدادها. وهو إذ يؤكد أن الديوان يعطي الأولوية لإعداد قطوع الحسابات من خلال تخصيص نصف عدد المحاسبين في الديوان لإنجاز هذا الملف، فيما يعمل النصف الآخر على كل ملفات الوزارات، فإنه يتوقع أن يتم، في الفترة المقبلة، إنجاز حسابات كل سنة خلال 3 إلى 4 أشهر. هذا يعني أن إنجاز الحسابات كلها وعودة الانتظام إلى حسابات الدولة قد يتطلب ثلاث سنوات جديدة؟ يأمل بدران أن تتسارع وتيرة إنجاز الحسابات مع سد النقص في ملاك الديوان من المحاسبين، بعد إنجاز المباراة التي أقرها مجلس الوزراء لتوظيف 30 محاسباً جديداً.
نتيجة التدقيق تؤكد ما سبق أن خلصت إليه الإدارة المالية في وزارة المالية ولجنة المال النيابية. فوضى عارمة في الحسابات، ونفقات بلا قيود وسلف خزينة غير مسددة ونفقات تشكل هدراً للمال العام. وقد كانت النتيجة ظهور اختلاف بأرقام الإيرادات والمصاريف والعجز في الموازنة... مصادر مطلعة على التقرير اعتبرت أنه يشكل نسخة طبق الأصل عن تقرير 2017، وهو بالمجمل يؤكد الخلاصات التي وصل إليها فريق التدقيق في وزارة المالية. مصادر أخرى، توضح أن حساب المهمة، الذي دُقق على أساسه قطع الحساب، يقتصر على المبالغ المعروفة المصير، في حين أن هنالك مبالغ مجهولة بقيمة قد تزيد على 27 مليار دولار وردت في تقرير وزارة المالية بنتيجة تدقيق الحسابات لكل السنوات.
في التفاصيل، أكد الديوان أن هنالك تجاوزاً في الإنفاق بلغ أكثر من 47,8 مليار ليرة، وهو أمر يؤسس إلى أن هذه المخالفة هي نهج يعود إلى التسعينيات وقد استمر طوال السنوات التي تلت للديوان تم تعديل النفقات المصروفة نتيجة تدقيق وإعادة تكوين الحسابات في وزارة المالية الدولة، إضافة إلى التكليف بمهمات لموظفين قبل حجز الاعتمادات اللازمة لها.
عدم إرفاق بعض الحوالات بعقود التوريد أو دفاتر الشروط أو محاضر الاستلام.
عدم الاستحصال على الموافقة المسبقة لديوان المحاسبة.
عدم إرفاق فواتير نظامية (تعديل في الرقم والتاريخ - عدم التوقيع - عدم لصق طابع مالي...).
عدم إرفاق بعض الحوالات بالمستندات الثبوتية ذات الصلة والتي تثبت التنفيذ.
وجود «حساب قيد مؤقت للنفقات» الرقم 48302 في حساب المهمة يتضمن أرصدة متراكمة منذ عدة سنوات وهو عبارة عن نفقات مصروفة غير متوفر لها اعتمادات في الموازنة كي يتم إصدار حوالات صرف بقيمتها التي تبلغ 47,8 مليار ليرة.
نظام الصرف على حساب السنة السابقة يبقى مفتوحاً في وزارة المالية بعد انقضاء المدة المتممة المنصوص عليها في المادة 80 من قانون المحاسبة العمومية أي 31 كانون الثاني من السنة التالية، الأمر الذي من شأنه أن يؤخر إقفال القيود المحاسبية وإنجاز الحسابات في المواعيد المحددة في القانون ويساهم في زيادة نفقات مصروفة على السنة المعنية المفترض قانوناً إنهاء الصرف للنفقات نهاية 31 كانون الثاني من السنة التالية فقط.
ولأنه لم يتمّ إعداد قطوعات حسابات جديدة عن تلك السنوات في ضوء تعذّر إعداد حسابات مهمة عن الأعوام المذكورة، رفع المدير العام للمالية العامة مشروع قانون إلى وزير المالية يتعلق بحسابات الأعوام 1993 حتى 1996. ويتضمن صرف النظر نهائياً عن إعداد حساب المهمة لمحتسب المالية المركزي وحساب المهمة العام وقطع حساب الموازنة العامة والموازنات الملحقة.
كذلك خلص الديوان إلى مجموعة من الملاحظات نتيجة التدقيق المحلي لعيّنة من الحوالات المصروفة، وأبرزها:
اعتماد تجزئة النفقات في غالبية الوزارات مع ما يرتّبه هذا الأمر من إهدار للمال العام وزيادة في حجم الإنفاق العام وفي عجز الموازنة. وقد تم ذلك بموجب قرارات للوزراء دون تبرير السبب، حيناً ومع تبريرات غير مقنعة أحياناً أخرى.
تحميل موازنة الدولة مبالغ مصروفة في أوجه إنفاق لا تستقيم مع مبدأ حفظ المال العام: هدايا وإكراميات لصحافيين، خدم، سائقين، ومرافقين أمنيين.
اعتماد آليات عمل تخالف أحكام قانون المحاسبة العمومية لجهة تنظيم اتفاقيات على سبيل التسوية بعد التنفيذ لدفع مستحقات لبعض الموردين لقاء تقديم خدمات أو منتجات معيّنة، بحيث يتم حجز الاعتمادات اللازمة بعد ترتّب الدين على الدولة، إضافة إلى التكليف بمهمات لموظفين قبل حجز الاعتمادات اللازمة لها.
عدم إرفاق بعض الحوالات بعقود التوريد أو دفاتر الشروط أو محاضر الاستلام.
عدم الاستحصال على الموافقة المسبقة لديوان المحاسبة.
عدم إرفاق فواتير نظامية (تعديل في الرقم والتاريخ - عدم التوقيع - عدم لصق طابع مالي...).
عدم إرفاق بعض الحوالات بالمستندات الثبوتية ذات الصلة والتي تثبت التنفيذ.
وجود «حساب قيد مؤقت للنفقات» الرقم 48302 في حساب المهمة يتضمن أرصدة متراكمة منذ عدة سنوات وهو عبارة عن نفقات مصروفة غير متوفر لها اعتمادات في الموازنة كي يتم إصدار حوالات صرف بقيمتها التي تبلغ 47,8 مليار ليرة.
نظام الصرف على حساب السنة السابقة يبقى مفتوحاً في وزارة المالية بعد انقضاء المدة المتممة المنصوص عليها في المادة 80 من قانون المحاسبة العمومية أي 31 كانون الثاني من السنة التالية، الأمر الذي من شأنه أن يؤخر إقفال القيود المحاسبية وإنجاز الحسابات في المواعيد المحددة في القانون ويساهم في زيادة نفقات مصروفة على السنة المعنية المفترض قانوناً إنهاء الصرف للنفقات نهاية 31 كانون الثاني من السنة التالية فقط.
ولأنه لم يتمّ إعداد قطوعات حسابات جديدة عن تلك السنوات في ضوء تعذّر إعداد حسابات مهمة عن الأعوام المذكورة، رفع المدير العام للمالية العامة مشروع قانون إلى وزير المالية يتعلق بحسابات الأعوام 1993 حتى 1996. ويتضمن صرف النظر نهائياً عن إعداد حساب المهمة لمحتسب المالية المركزي وحساب المهمة العام وقطع حساب الموازنة العامة والموازنات الملحقة.

تقرير

ثلاث وفيات و101 إصابة في المستشفيات: أزمة كورونا تتفاقم

في سياق مستمر لتلازم الواقع الوبائي، سُجّلت 147 إصابة جديدة بـ«كورونا» (119 مُقيماً و28 وافداً)، أمس، ليرتفع عدد الإصابات الإجمالي إلى 3407 حالات. فيما وصل عدد المصابين الفعليين إلى 1695 وهو الرقم الأعلى الذي يُسجل في لبنان منذ اندلاع الوباء في 21 شباط الفائت. الترجمة الأخطر للأزمة تمثلت بارتفاع عدد المصابين المقيمين في المستشفيات بشكل لافت، بما ينبئ بالضغط الذي كان متوقعاً على القطاع الاستشفائي المترنّح أصلاً، إذ وصل إلى 101 شخص، 21 منهم حالتهم حرجة، فيما سُجّلت ثلاث وفيات خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ليرتفع عدد الوفيات إلى 46 حالة.
هذه المعطيات تؤكد «المنحنى الخطير» الذي يمضي فيه المسار الوبائي والذي كان قد أشار إليه وزير الصحة العامة حمد حسن، قبل يومين. وما استئناف جهود حمد لتجهيز المستشفيات الحكومية خلال الـ48 ساعة الماضية إلا دليل على الوقائع المُقلقة التي تستلزم جهوداً مضاعفة لتدارك الواقع، وخصوصاً في ظل التمسك بخيار اللاعودة إلى الإقفال. وفي وقت لا يبدو فيه أن السلطة قادرة على تولي زمام الأمور عبر وضع خطة صحية شاملة وسريعة، تتضاعف المسؤوليات الملقاة على عاتق البلديات والسلطات المحلية بشأن «خلق» مراكز حجر للمقيمين في نطاقها العقاري من جهة، واتخاذ قرارات العزل والتأكيد على الإجراءات الوقائية. الجدير ذكره أن لا آلية واضحة حتى الآن تلحظ توزيع مراكز الحجر الرسمية التي لا يزال مصيرها مجهولاً حتى الساعة.
(الأخبار)

(مروان طحطح)
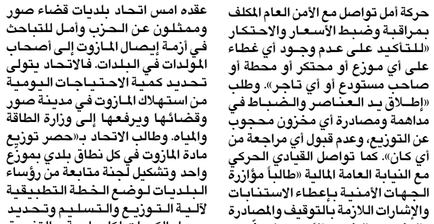

تقرير

نحو التلزيم بالتراضي مناقصة الكتاب المدرسيّ تفشل مجدّداً

فاتن الحاج

لم يفضّ المركز التربوي للبحوث والإنماء، أمس، عروض تلزيم طباعة سلاسل الكتاب المدرسي المعتمد في المدارس الرسمية وبعض المدارس الخاصة، إذ لم يتقدم الى المناقصة العمومية التي أطلقت للمرة الثانية سوى عارض واحد هو «شركة شمص للطباعة والنشر»، ولمرحلة واحدة من مراحل التعليم الثلاث. وعليه، ينتظر أن يستدعي المركز، الأسبوع المقبل، الشركات الأخرى الراغبة في التلزيم والتي تستوفي الشروط، بغية إبرام عقد بالتراضي، بحسب النظام الداخلي، فهل ينجح المركز في إقناع الشركات بذلك، وما الجديد الذي سيقدمه لها؟ وهل هناك فعلاً توجه لدى الحكومة لإدخال الأوراق المخصّصة لدور النشر ضمن السلة الأساسية المدعومة من مصرف لبنان؟
وكانت ثلاث دور نشر («شمص» و«شركة المطبوعات للتوزيع والنشر» لصاحبها تحسين خياط، و«مكتبة لبنان - ناشرون» لصاحبها بيار الصايغ) قد اشترت دفتر الشروط بنيّة المشاركة في المناقصة. وفيما عزفت الشركتان الأخيرتان عن الاشتراك في المناقصة للمرة الثانية، فإن مشاركة الأولى «لا تتجاوز كسر الجليد»، كما قال لـ«الأخبار» صاحبها عدنان شمص، إذ إن «لا شيء تغيّر في دفتر الشروط المعدّل، والشروط لا تزال غير واضحة. المشارك في المناقصة يدخل في المجهول وليس هناك من يحميه، ولا يستطيع أن يضمن ماذا سيحل بسعر الدولار في السنوات الأربع المقبلة (مدة التلزيم)، علماً بأننا نشتري الحبر والورق والغراء لتلزيق الكتب نقداً وبسعر السوق السوداء، ولا نقبض أموالنا من المركز قبل كانون الأول بعدما يذهب الكتاب إلى المكتبات». ودعا الى أن تكون المناقصة سنوية وأن يكون الكتاب المدرسي مدعوماً من مصرف لبنان، كما الدواء والغذاء والنفط.

مساعٍ لدى لجنة التربية النيابية لإصدار قانون يدعم الورق المخصّص لطباعة الكتاب

وعلمت «الأخبار» أن مساعي ستُبذل في الأيام المقبلة لدى لجنة التربية النيابية في محاولة لإصدار قانون يدعم الورق المخصّص لطباعة الكتاب المدرسي.

تقرير

مافيا المحروقات جنوباً: من يضبطها؟

آمال خليل

تفاعلت أزمة احتكار توزيع المحروقات وبيعها جنوباً، من دون أن تشهد ضبطاً حاسماً لظاهرة السوق السوداء وما يترتب على المواطنين والمستهلكين من ارتفاع في الأسعار وفقدان في المواد، وصولاً إلى انقطاع لكهرباء المولدات. فضلاً عن تحقيق سماسرة ونافذين لثروات هائلة تذهب إلى جيوبهم من دون أن يصل شيء منها إلى خزينة الدولة، عبر دفع الرسوم المتوجبة عند استلام المحروقات من منشآت النفط في الزهراني. وبعدما استعرت بورصة الأسماء المتهمة في التورط بالاحتكار والتلاعب بالأسعار وبأخذ حصص من دون وجه حق، سُجلت أمس اتصالات مكثفة بين قياديين في حركة أمل وحزب الله ومرجعيات أمنية وقضائية تحت عنوان «رفع الغطاء عن المشتبه فيهم وإعادة الأمور إلى نصابها».
وعلمت «الأخبار» بأن قيادياً رفيعاً في حركة أمل تواصل مع الأمن العام المكلف بمرافقة وضبط الأسعار والاحتكار «للتأكيد على عدم وجود أي غطاء على أي موزع أو محتكر أو محطة أو صاحب مستودع أو أي تاجر». وطلب «إطلاق يد العناصر والضباط في مداهمة ومصادرة أي مخزون محجوب عن التوزيع، وعدم قبول أي مراجعة من أي كان». كما تواصل القيادي الحركي مع النيابة العامة المالية «طالباً مؤازرة الجهات الأمنية بإعطاء الاستنابات والإشارات اللازمة بالتوقيف والمصادرة والختم بالشمع الأحمر لكفّ يد المحتكرين». شعار رفع الغطاء الذي لم تثبت جديته في كثير من الأزمات، قابله تأكيد متجدد من إدارة منشآت النفط في الزهراني بأن «مسألة التوزيع والكميات هي من اختصاص وزارة الطاقة داخل المنشآت ومن اختصاص الجهات الأمنية والقضائية خارجها».
و على صعيد متصل، كان لافتاً البيان الصادر عن الاجتماع الطارئ الذي عقده امس اتحاد بلديات قضاء صور وممثلون عن الحزب وأمل للتباحث في أزمة إيصال المازوت إلى أصحاب المولدات في البلدات. فالاتحاد يتولى تحديد كمية الاحتياجات اليومية من استهلاك المازوت في مدينة صور وقضائها ويرفعها إلى وزارة الطاقة والمياه. وطالب الاتحاد بـ«حصر توزيع مادة المازوت في كل نطاق بلدي بموزع واحد وتشكيل لجنة متابعة من رؤساء البلديات لوضع الخطة التطبيقية لآلية التوزيع والتسليم وتحديد جدول الكميات لكل بلدية، بالتنسيق مع رئيس البلدية المعنية، ورفعه إلى منشأة الزهراني وإلى الموزع للالتزام به ومراقبة آلية تسليم المازوت لصاحب المولد بإشراف من رئيس البلدية أو من ينتدبه لضمان عدم تهريب كمية المازوت المخصصة للبلدة. فضلاً عن توزيع جدول الكميات المعتمد على كلّ وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي لضمان شفافية التوزيع».

سيشكّل هافيرتز إضافة كبيرة للنادي اللندني (أ ف ب)

بريميرليغ

هافيرتز على أعتاب ستامفورد بريدج

صفقات مدويّة والرسالة واضحة: انتظروا البلوز

يقترب صانع العاب باير ليفركوزن الالماني كاي هافيرتز من الانتقال الى نادي تشلسي الإنكليزي. ليصبح بذلك ثالث الاسماء المستقدمة بعد كلٍّ من حكيم زياش وتيمو فيرنر. صفقة ستضيف الكثير الى عمق المنظومة، ما سيعزز من حظوظ الفريق للمنافسة على الالقاب كافة خلال الموسم المقبل

حسين فحص

انتهت القمّة التي جمعت ليفربول الإنكليزي بنظيره تشيلسي ضمن الجولة 37 من البريميرليغ، بفوز الريدز (3-5) على أبناء المدرّب الشاب فرانك لامبارد. خسارةٌ أجّلت هدف التحاق البلوز بدوري الأبطال إلى مباراته الأخيرة أمام وولفرهامبتون (يحتاج تشيلسي إلى نقطة واحدة ليتأهّل إلى دوري أبطال الموسم المقبل)، كما أظهرت نقاط ضعف الفريق اللندني الذي يسعى جاهداً لتحسين المنظومة في الموسم المقبل.

بالنظر إلى الظروف العامّة المحيطة بالفريق، بعدَ الموسم الأوّل للمدرّب فرانك لامبارد مع تشيلسي ناجحاً جداً. لم يُبرم النادي أيّ صفقة هذا الموسم بفعل العقوبة الموقّعة عليه. لم يكن الفريق مرشّحاً للفوز بأيّ بطولة نظراً إلى ضعف المنظومة، خاصّةً مع رحيل نجم الفريق الأوّل إيدين هازار في الصيف الماضي. رغم ذلك، يبتعد تشلسي بنقطة واحدة عن المشاركة في دوري أبطال الموسم المقبل من بوابة الدوري، كما أنّه وصل إلى نهائي كأس الاتّحاد الإنكليزي الذي سيواجه فيه نادي أرسنال.

مشاكل عديدة حالت دون منافسة تشيلسي على الألقاب «الكبيرة» هذا الموسم، «تبلوَرت» بفعل قلّة الخبرة لدى العناصر الشابة، ما دفع لامبارد لاستقدام أسماء ذات ثقل كروي في أوروبا، تعود بالفائدة على الفريق. بدأ الأمر بالتوقيع مع الدولي المغربي حكيم زياش الذي سيشغل بدرجة كبيرة مركز الجناح الأيمن، كما سيُعنى بمهام صناعة اللعب، ثم وقّع الفريق مع المهاجم الألماني الشاب تيمو فيرنير الذي سيضيف الكثير إلى عمق المنظومة، ليشكّل الموهبة الأبرز في ألمانيا حالياً كاي هافيرتز آخر صفقات البلوز، بحسب الصحافة الرياضيّة حول العالم.

فقد كشف العديد من المصادر الإعلامية عن توصّل تشلسي إلى اتفاق مع نادي باير ليفركوزن منصّات التواصل الاجتماعي خاصّةً في ظلّ عدم الإعلان عن الصفقة حتى الآن، علماً بأنّ الفريق اللندني سيدفع ما يقارب الـ90 مليون يورو لضمّ هافيرتز من ليفركوزن.

هكذا، يكون لامبارد قد وقّع مع ثلاثة لاعبين في خطّ المقدمة، ما يعكس فلسفة المدرب الشاب الهجومية. ثلاثي هجومي مهاري وفعّال، سيضيف الكثير، مع الجناح الأميركي كريستيان بوليزيتش، إلى منظومة الفريق، الأمر الذي سيعطي تشيلسي حظوظاً أكثر للمنافسة على الألقاب كافة. رغم الأسماء اللامعة في الخطّ الأمامي، تبقى المعضلة بوفرة العناصر، مع جهل مصير بعض اللاعبين. على سبيل المثال، ستساهم «الزحمة» في عودة الضباب حول مستقبل الجناح الشاب كالوم هودسون أودوي الذي رفض الانتقال إلى بايرن ميونخ في الموسم الماضي بعد أن تلقّى وعوداً من تشلسي في المشاركة باستمرار. مستقبل ويليان مهدّد هو الآخر بفعل صعوبة الاتّفاق على تجديد عقده. اللاعب يريد التجديد لثلاثة مواسم مقبلة، أمّا الإدارة تريد عامين فقط نظراً إلى تجاوزه سنّ الثلاثين. في خط الوسط، ظهرت المشاكل على امتداد الموسم إثر التغيير المستمرّ لثلاثي الوسط، وقد كانت نقطة الاختلاف بإشراك جورجينيو وكانتي سوياً، حيث يشغل اللاعبان المركز نفسه. مع المدرّب السابق ماوريسيو ساري، كان جورجينيو محور الفريق، واللاعب الأهمّ الذي تتمحور المنظومة حوله، فكان يُعنى بمهام صناعة اللعب وتحديد «ريتم» المباراة. مع لامبارد الوضع مختلف، إذ ظهر جلياً، خاصّة في المباريات الأخيرة، تفضيله إشراك كانتي في مركز الوسط، حتى لو اضطره الأمر إلى إجلاس جورجينيو على مقاعد البدلاء. يمتلك اللاعبان عروضاً للمغادرة، جورجينيو إلى يوفنتوس، ساري وكانتي إلى ريال مدريد أو إنتر ميلانو. تكمن المعضلة الأساسيّة للفريق في الخطّ الخلفي، الذي كان هشّاً طوال الموسم. لحلّ هذه المشكلة، يسعى تشلسي للتوقيع مع مدافع نابولي كوليبالي أو مدافع إنتر ميلانو سكريניار، كما يسعى للتوقيع مع ظهير ليستر سيتي الشاب بن شيلويل أو ظهير أياكس أمستردام تاليافيكو. لن يكتفي النادي بذلك، بل سيسعى جاهداً للتخلّي عن حارسه كيبا واستبداله إمّا بأونانا حارس أياكس أو حارس بيرنلي نيك بوب اللذين يشكلان الخيار الأفضل للبلوز بحسب الصحافة الإنكليزية.

استفاد تشلسي من العقوبة التي تعرّض لها، حيث وفّر الأموال لإبرام الصفقات هذا الصيف، وهو أحد الفرق القليلة في العالم التي سيتسنّى لها البذخ دون التعرّض لمشاكل، متجاوزاً بذلك تبعات كورونا على ميادين الكرة.

صيفٌ ساخن سيعرفه الفريق، من المتوقّع أن يكون الأفضل منذ سنوات ما يُظهر ثقة الإدارة بمدرّبها الشاب. أهدافٌ أكبر ستوضع على عاتق لامبارد، منها محاولة التتويج بالدوري المحلّي والمنافسة على دوري الأبطال، الأمر الذي سيُظهر «معدن» لامبارد التدريبي أكثر. تبعاً للصفقات المستهدفة والأجواء العامّة داخل النادي، تبدو الرسالة واضحة من إدارة البلوز لبقية الفرق في أوروبا: انتظرونا.

> يسعى البلوز لاستبدال الحارس كيبا إمّا بأونانا حارس أياكس أو حارس بيرنلي نيك بوب

أبرز مباريات الأسبوع

■ السبت 2020/07/25

الدوري الإيطالي

بريشيا x بارما 18:15
جنوى x إنتر ميلانو 20:30
نابولي x ساسولو 22:45

■ الاحد 2020/07/26

الدوري الإنكليزي

آرسنال x واتفورد 18:00
تشلسي x وولفرهامبتون 18:00
إيفرتون x بورنموث 18:00
ليستر سيتي x مانشستر يونايتد 18:00
مانشستر سيتي x نورويتش سيتي 18:00
نيوكاسل x ليفربول 18:00
ساوثهامبتون x شيفيلد يونايتد 18:00
وستهام يونايتد x أستون فيلا 18:00
كريستال بالاس x توتنهام 18:00
بيرنلي x برايتون 18:00

الدوري الإيطالي

بولونيا x ليتشي 18:15
روما x فيورنتينا 20:30
هيلاس فيرونا x لاتسيو 20:30
يوفنتوس x سامبدوريا 22:45

سباقات السرعة

أربعة سباقات خارج حسابات الفورمولا

أعلن منظمو بطولة العالم لفورمولا واحد أمس عدم إقامة سباقات الجائزة الكبرى في الولايات المتحدة والبرازيل والمكسيك وكندا هذا العام. وأكد المنظمون في بيان لهم «بعد مناقشات طويلة وبالتعاون الوثيق مع شركائنا، ونظراً إلى الطبيعة المتغيرة جداً للوضع على جبهة جائحة كوفيد-19، والقيود المفروضة على المستوى المحلي وأهمية الحفاظ على صحة المجتمعات المحلية وزملائنا، لن يكون من الممكن التسابق في البرازيل، الولايات المتحدة، المكسيك وكندا هذا الموسم». وشدد المنظمون على أن الهدف لا يزال تنظيم ما بين 15 إلى 18 سباقاً، على الرغم من الاضطرابات الناجمة عن انتشار وباء فيروس كورونا المستجد.

وأقيم بالفعل ثلاثة سباقات منذ استئناف المنافسات مطلع الشهر الحالي، حيث كانت البداية في النمسا بسباقين على حلبة ريد بول رينغ في سبيلبرغ، قبل الانتقال إلى المجر على حلبة هنغارورينغ.

وكان من المقرر ان تنطلق البطولة منتصف آذار/ مارس الماضي من 11 تشرين الأول/ أكتوبر، وآخر في البرتغال على حلبة بورتيماو في 25 من الشهر نفسه، وفي إميليا رومانيا الإيطالية على حلبة إيمولا الشهيرة الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر.

وقال البيان «يسرنا أن نرحّب ببورتيماو كحلبة جديدة في روزنامة فورمولا واحد وأن نرى عودة ايمولا ونوربورغرينغ اللتين استضافتا بالفعل سباقات الجائزة الكبرى في السابق».

ومن المقرر أن يقام سباقان آخران على حلبة سيلفرستون (المملكة المتحدة)، وواحد في برشلونة (إسبانيا)، وواحد في سبا (بلجيكا)، واثنان في إيطاليا (مونزا وموغيلو) وواحد في روسيا (سوتشي).

ولم يتخلّ المنظمون بعد عن فكرة إقامة سباقات في القارة الآسيوية، ولا سيما في الصين وفيتنام.

ومن المتوقع أن ينتهي الموسم في الشرق الأوسط في البحرين وأبو ظبي، على الرغم من أن الجولتين الأخيرتين لم تتأكدا بعد. وستعود البرتغال الى روزنامة الفورمولا واحد للمرة الأولى منذ عام 1996، بعد 24 عاماً على سباق أستوريل القريبة من لشبونة. وسيكون السباق متاحاً للجماهير، بحسب ما أعلنت عنه وزيرة السياحة البرتغالية ريتا ماركيز «سيكون هناك متفرجون».

(أ ف ب)

لن يكون من الممكن التسابق في البرازيل، الولايات المتحدة، المكسيك وكندا (أ ف ب)

الكرة اللبنانية

الملاعب تستعيد نشاطها وسط إجراءات صارمة

عبد القادر سعد

استعادت كرة القدم اللبنانية حيويتها، وانطلقت منافساتها بشكل رسمي من بوابة بطولة الناشئين، مع إقامة المباراة المؤجلة من الأسبوع الأول بين العهد وضيفه الصفاء صور. عودة كانت فيها فرحة الصوريين كبيرة بعد فوزهم على العهد 1-0 بهدف سجله عبد الله فقيه في الدقيقة 59.

لكن العين كانت على شكل عودة الحياة الى كرة القدم في ظل أزمة كورنا. فالتحدي الكبير كان بسبب تفشي الوباء بشكل كبير في الفترة الأخيرة في لبنان، ما فرض إجراءات استثنائية من قبل الاتحاد اللبناني للعبة.

إجراءات تنوعت بين الإدارية والصحية عبر منع الجمهور من الحضور، وتحديد عدد الإداريين. أما الأهم فكان الإجراءات الصحية الصارمة التي نفّذها أشخاص مختصّون عبر تعقيم مرافق الملعب كافة وقياس درجة حرارة كل شخص يدخل الى حرم الملعب وتعقيمه. أضف الى ذلك إلزامية ارتداء الكمامة من قبل جميع الحاضرين، باستثناء اللاعبين على أرض الملعب. كما تمّ إغلاق غرف الملابس ومنع الاستحمام في الملعب وتخصيص منطقتين خارجيتين للاعبين مع الجهاز الفني، الى جانب التشدد في مسألة التباعد والمسافة الآمنة.

> اتخذ الاتحاد اللبناني إجراءات صحية صارمة نفّذها أشخاص مختصّون

ولا شك أن هذه الإجراءات ستنسحب على جميع المباريات من بطولة الشابات التي تنطلق اليوم بست مباريات، الى كأس النخبة والتحدي والبطولة الشاطئية في الأول من آب.

في الوقت عينه، واصلت أندية الدرجة الأولى خوضها للمباريات الودية، حيث فاز العهد على مضيفه الأنصار 3-1 بعدما كان متأخراً بهدف سجله محمود كجك. أما أهداف العهد، فسجلها: محمد قدوح، هدفين، أحدهما من ركلة جزاء) وحسين زين. وأهدر الأنصار ركلة جزاء سددها كجك وتصدى لها الحارس هادي خليل، في حين تلقى لاعب الأنصار كريم درويش بطاقة حمراء في الدقائق العشر الأخيرة بعد ضربة لاعب العهد الشاب محمد حايك الذي نقل الى المستشفى حيث تمت معالجته بثماني غرز.

في مكان ليس ببعيد، كان البرج يفوز على مضيفه النجمة 1-0 على ملعب المنارة عبر لاعبه محمد جعفر الذي سجّل هدف البرج الوحيد. أما لقاء شباب الساحل والبرج الودي أيضاً، فقد انتهى بالتعادل السلبي بين الفريقين.

خطف ناشئو التضامن فوزاً عزيزاً من مضيفهم العهد بهدف وحيد (عدنان الحاج علي)

حول العالم

هندروسن افضل لاعب في البريميرليغ

كوفئ قائد ليفربول جوردان هندرسون على مساهمته في قيادة «الحمر» إلى لقبهم الأوّل في الدوري الإنكليزي لكرة القدم منذ 1990، بنيله جائزة الكتّاب الكروين لأفضل لاعب خلال موسم 2019-2020. وتفوّق ابن الثلاثين عاماً في السباق على الجائزة السنوية على كلّ من نجم مانشستر سيتي البلجيكي كيفن دي بروين، مهاجم مانشستر يونايتد ماركوس راشفورد، وزميليه في ليفربول المدافع الهولندي فيرجيل فان دايك والهدّاف السنغالي ساديو مانيه.

وإلى جانب دوره الفعّال على أرضية الملعب خلال المباريات الثلاثين التي خاضها في الدوري الممتاز هذا الموسم ومساهمته بوجود ليفربول في الصدارة بفارق 18 نقطة عن أقرب ملاحقيه مانشستر سيتي قبل مرحلة على الختام، كان هندرسون مثالاً يُحتذى به خارج الملعب أيضاً أثناء توقّف المنافسات لمدة ثلاثة أشهر بسبب تفشّي فيروس كورونا المستجد. قاد هندرسون مبادرة «بلايرز توغثر» خلال فترة الإغلاق، وعمل مع لاعبين آخرين على جمع الأموال لصالح خدمة الصحّة الوطنيّة «أن إيتش أس».

«فيفاغايت»... استقالة المدّعي العام السويسري

قدّم المدعي العام السويسري مايكل لاوبر استقالته من منصبه بعد جدل مطوّل حول طريقة تعامله مع تحقيقات فضيحة الفساد في الاتّحاد الدولي لكرة القدم «فيفا» الشهيرة بـ«فيفاغايت». وقال لاوبر، المتّهم بتواطئه مع رئيس الاتّحاد الدولي السويسري جاني إنفانتينو عقب العديد من اللقاءات غير الرسمية، في بيان «من أجل مصلحة المؤسّسة، أقدّم استقالتي». وواجه لاوبر (54 عاماً) تحقيقات متعدّدة حول طريقة تعامله مع ملف التحقيقات في فضائح الفيفا.

وأستبعد لاوبر العام الماضي من التحقيق في فضيحة الفساد التي هزّت الاتحاد الدولي منذ عام 2015، بسبب اتصالاته غير المعلنة التي كشفت عنها وسائل الإعلام مع رئيس الاتحاد الدولي للعبة، خصوصاً العديد من الاجتماعات السرية المزعومة مع إنفانتينو. كما تمّت معاقبته بتخفيض راتبه بنسبة 8% لمدة عام واحد بسبب كذبه و«عرقلة» التحقيق التأديبي الذي استهدفه. وجاءت استقالته بعد قرار المحكمة الإدارية الاتّحادية التي لجأ إليها لاوبر نفسه للطعن في العقوبة التي فُرضت عليه. وقالت المحكمة في بيان لها الجمعة إنّها تؤكد «بشكل أساسي خروقات في واجبات النائب العام، خاصّة في ما يتعلّق بالاجتماع الثالث مع رئيس الفيفا الذي اعتبرته المحكمة أيضاً انتهاكاً خطيراً لواجبات العمل».

وأوضحت أيضاً أنها توصلت إلى خلاصة مفادها أن النائب العام «أضرّ بسمعة» النيابة العامة وأنه «غير واعٍ وغير مقتنع بعدم قانونية أفعاله».

ومع ذلك، قامت المحكمة بتخفيض عقوبة الخصم من راتبه من 8% إلى 5%. وقال لاوبر في بيان استقالته: «أحترم قرار المحكمة الإدارية الاتحادية. لكنّي ما زلت أرفض بشدة اتّهام الكذب».

«الإسلام السياسي» مصطلح ملتبس لغةً ومريب مضموناً

علاء اللامي *

«الإسلام السياسي». شاعت هذه العبارة - المصطلح في العقود القليلة الماضية، حتى اكتسبت نوعاً من البداهة والحياد الاستعمالي بفعل التكرار والانتشار حتى من قِبل باحثين عرب لا غبار على توجهاتهم ومنهجياتهم الوطنية والتقدمية. غير أن تدقيقاً عميقاً ومتمهّلاً في ماهيتها لغةً واصطلاحاً تجعلها أهلاً للشكّ النقدي بل وللريبة والشبهة.

لغةً، تحيلنا هذه العبارة (الإسلام السياسي) إلى وصف «الإسلام» - كاسم علم لدين معروف، ومزجه بالسياسة على سبيل التخصيص ضمن التنويع، وكان قائلها يؤمن بوجود أنواع من «إسلامات»، منها الإسلام الاقتصادي وليس «الاقتصاد الإسلامي»، وعلى هذا المنوال يُمكن اشتقاق عبارات من قبيل: الإسلام الصناعي والإسلام الزراعي والإسلام التلفزيوني.. إلخ، وهذه صيغٌ لا معنى ولا مسوّغاً لغوياً لها.

أمّا مضموناً، فهذا المصطلح «الإسلام السياسي»، يعني توحيداً لجهة الماهية لاسم دين معروف ومحترم كسائر الأديان هو «الإسلام» بالسياسة بحُمرها وبجرها، وجعلها ماهية له مفردة به، لينتج عن ذلك شيء جديد هو دين سياسيّ خالص ومتفرّد في ذلك ومختلف عن سائر الأديان! فهل الإسلام هو دين سياسي، أم أنّه دين كسائر الأديان يستغلّه ويستلهمه السياسيّون وأهل السلطان وأهل الفكر والعقائد السياسية لخدمة مشاريعهم الخاصة؟

المرجّح عندي، بصدد ابتكار هذا المصطلح، احتمالان: فإمّا أن يكون من منتجات الترسانة الإعلامية والاستشراقية الغربية العنصرية المعادية للإسلام والمسلمين عموماً، أو أنّه هفوة من نتاج لغة مبتكر المصطلحات السياسية العاجزة عن الابتكار الإصلاحيّ الصحيح من قبل مؤلفين ومترجمين عرب، والاحتمال الأوّل قد يكون أقوى من الثاني؛ كيف ذلك؟

بحثت عن هذا المصطلح بعد ترجمته إلى اللغة الفرنسية (L›islam politique) والإنكليزية (Political Islam)، فكان موجوداً في الموسوعات الحرّة على شبكة النت بهذه الصيغة، وسادرج هنا التعريف الفرنسيّ للعبارة بعد ترجمته إلى العربية، وهو يقول (الإسلام السياسي: هو اسم عام لجميع التيارات الإيديولوجية التي تهدف إلى إقامة دولة على أساس مبادئ الإسلام، سواء على مستوى الدولة أو على مستوى المجتمع. وكقاعدة، هو مرادف للإسلاموية، والمصطلح الأخير يركّز على ما هو أكثر من توصيف سياسي لهذه الحركات من الناحية الدينية البحتة).

أمّا التعريف الإنكليزيّ لهذا المصطلح فموجود أيضاً، وهو يختلف قليلاً عن الفرنسي، ويمكن القول إنّه أكثر توازناً وأقل إثارة للريبة التي يثيرها التعريف الفرنسي. تقول ترجمة التعريف الإنكليزي (الإسلام السياسي: هو أيّ تعريف تفسيريّ للإسلام كمصدر للهوية والعمل السياسي. ويمكن أن يشير إلى مجموعة واسعة من الأفراد والجماعات الذين يحاولون تحويل الدولة والمجتمع وفقاً لما يرونه مبادئ إسلامية. ويمكن أن يشير المصطلح أيضاً إلى استخدام الإسلام كمصدر للمفاهيم والاستعارات لتوضيح المواقف السياسية. يمثّل «الإسلام السياسي» أحد جوانب النهضة «الصحوة؟» الإسلامية التي بدأت في القرن العشرين. علماً أنه لا تتم مناقشة جميع أشكال النشاط السياسيّ من قِبل المسلمين تحت عنوان الإسلام السياسي).

إنّ التعريف الفرنسي أكثر إثارة للارتياب، كما قلت، لأنه أكثر انشداداً إلى محاولة حصر هذا المصطلح بمضمون الإسلام الجهاديّ أو السلفيّ الأصوليّ ومن ثم تعميمه على الإسلام ديناً وحضارة بائدة وبشراً معتنقين له، وهذا يعني ضمناً شطب التيارات الإسلامية التنويرية والديموقراطية أو المقاومة للاحتلال والهيمنة الغربية أو حتى الأصولية المسالمة أو خلطها ببعضها ومساواتها كأجزاء ضمن كلّ يطلقون عليه «الإسلام السياسي».

أمّا التعريف الإنكليزي فقد نجد فيه شيئاً من الموضوعية في المحتوى، وخصوصاً في احتوائه على عبارة «كمصدر للهوية والعمل السياسي» وفي اعتباره «أحد جوانب النهضة الإسلامية التي بدأت في القرن العشرين» بما يلمّح إلى مفهوم «الصحوة الإسلامية» الشائع في النثر السياسي الحزبي الإسلامي، وهذه المفاهيم قد يكرّرها الإسلاميون دون تردّد أو تحفّظات رغم ما تثيره من إشكالات ماهوية في التحليل اللغويّ والمضموني. ولكنّ كِلا التعريفين، الفرنسي والإنكليزي، لا ينفيان مشبوهية هذا الاصطلاح باللغة العربية، ويثيران أكثر من تساؤل عن انعدام نظير أو مثيل له في حالات الأديان الأخرى، ولذا يمكن الاعتقاد بأنّه كمصطلح قد لا يكون مُنتوجاً للحالة السياسيّة العربيّة والإسلاميّة كما يبدو ظاهراً، بل هو ترجمة لمصطلح أمني وثقافوي استشراقي للمصطلح باللغات الأجنبية روّج له العلمانيون والليبراليون القشريون العرب والمتكلّمون بالعربية من غير العرب ولأغراض معادية، ثم، وبمرور الوقت، تبعهم في ذلك جمهور عريض من حسني النوايا والمضلّلين.

ما الدليل على هذا الاستنتاج؟ الدليل

ساسان ناصرنيا - طهران/ فانكوفر

هو أنّنا لو بحثنا عن أيّ نظير مسيحي أو يهودي أو بوذي لهذا المصطلح فلن نجد. وقد بحثت شخصياً وطويلاً، وباللغتين اللتين أجيد التكلم بهما بشكل متواضع وغير احترافي، وهما الفرنسية والإنكليزية، فلم أجد نظيراً أو رديفاً لهذا المصطلح «الإسلام السياسي»!

فليجرّب من شاء التجربة وليبحث عن معنى لعبارة «المسيحية السياسية» أو «اليهودية السياسية» أو «البوذية السياسية» بعد ترجمتهما إلى أيّة لغة أجنبية، ثم ليتوصّل بنفسه إلى الاستنتاج الذي يرتضيه ويقتنع به. وبخصوص الديانة البوذية مثلاً، لن نجد مصطلح «البوذية السياسية» بل دالبوذية والسياسة» ومثل ذلك بخصوص «المسيحية والسياسة» أو «اليهودية والسياسة». فلماذا اقتُصر مصطلح «الإسلام السياسي» على الإسلام ولم يقولوا - لا باللغة العربية ولا في اللغات الأجنبية - «الإسلام والسياسة» بل قالوا «الإسلام السياسي»؟

هل هناك بديل لمصطلح «الإسلام السياسي»؟ نعم، هناك الكثير والأكثر دقّة لغةً ومضموناً، يمكن أن نقول: الأحزاب الإسلامية، القوى السياسية الإسلامية، التنظيمات الإسلامية، التيارات الإسلامية، ويمكن لنا أن نحدّد في التفصيل أكثر فنقول «الجهادية السياسية» و«السلفية الجهادية» أو «السلفية الانتحارية» تفريقاً بينها وبين الحركات السلفيّة السياسيّة المسالمة التي تخوض العمل البرلماني ولها ممثّلون في عدد من البرلمانات العربية كالكويت والمغرب بغضّ النظر عن فكرها وبرامجها السياسية إن كان لديها برامج، من دون أن يتغيّر المضمون المُراد، بل سيكون أكثر دقّة وبُعداً عن الشبهة والريبة والاستهداف الاستشراقيّ العنصريّ.

> هادي العلوي أوّل من شكّك بالمصطلح في معرض نقده العلمانية الاستشراقية التي تتذرّع بـ «السياسي» لتموّه كرهها لـ «الإسلام»

ختاماً، أسجّل أنّ أوّل من شكّك بهذا المصطلح هو رفيقي وأستاذي الراحل هادي العلوي في معرض نقده للعلمانية القشرية كما يروّج لها المتأثّرون بالاستشراقيّة الغربيّة، وقد كتب حينها (وهكذا يصبح العدو الأوحد لتسعين بالمائة من مثقّفينا هو الإسلام (السياسي) هذه اللاحقة «السياسي» للتمويه، فالعدو هو الإسلام نفسه: تاريخه الحضاري وتراثه العظيم ومنجزاته العالمية التي مهّدت، بالتكامل مع منجزات الحضارة الصينية، لولادة العصر الحديث. ص46 من «كتاب المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة»). ولكن العلوي كان قد استعمل عبارة «الإسلام السياسي» في حواره المطوّل والمعمّق مع الصديق الباحث خالد سليمان وزميله حيدر جواد؛ وهو الحوار الذي تحوّل إلى كتاب صدر بعد وفاته عن دار «الطليعة الجديدة» في دمشق تحت عنوان (هادي العلوي - حوار الحاضر والمستقبل). في هذا الكتاب قال الراحل: «بعد زوال الاتحاد السوفيتي تُفتح ساحة الصدام بين بعض الإسلام وكلّ الغرب. واعتقد أن الصراع لن يدوم لأن الإسلام السياسي بمؤسسيّته الدينية لا يتناقض جذرياً مع الغرب خلافاً لأوهام أو مصادرات الكتاب الغربيين. فالتناقض لا يكون بين الأديان أو بين الأيديولوجيات لأنّ أساسه سياسي واقتصادي، نعم، سوف يتجذّر التناقض بين الإسلام السياسي والغربي إذا تبنّى الإسلام السياسيّ الاشتراكية الماركسية وعندئذ سيكون الانقطاع المطلق عن الاقتصاد الرأسمالي هو التناقض الأكبر والحقيقي». (ص 61). ولا يمكنني الجزم إنّ كان العلوي قد توصّل إلى قناعته بمشبوهية مصطلح «الإسلام السياسي» قبل أو بعد كتابته لهذا النص المقتبس والذي نقرأه في سياق مختلف قليلاً عن السياقات «العلمانوية» السائدة، فهو يُقرن - استعمالياً - وجود «إسلام سياسي» بـ «غرب سياسي» وقد لا يعدو الأمر كونه استعمالاً آنياً أوجبته الفكرة، أو أنه كان قبل أن يرفض العلوي هذا المصطلح يشكّك به في الاقتباس الأوّل.

*كاتب عراقي

سحر الكلمات وإعادة إنتاج البنية

حسين إبراهيم شمس الدين *

يذهب بيار بورديو في كتابه «عن الدولة» إلى تفكيك مفهوم الدولة وكيفية سيلانه بذلك من التعريفات السائدة لها والتي طُرحت في علم الاجتماع والسياسة ليقدّم مفهوماً أنتروبولوجياً جديداً لها يمتدّ ليشمل مناحي الحياة المختلفة للناس، فليست الدولة من حيث مفهومها مجموعة من المؤسّسات أو الميكانيزمات السياسيّة والاقتصاديّة والقانونيّة فقط، بل هي بنية معرفيّة في الأساس تظهر في العديد من السلوكيّات اليوميّة العامّة والفرديّة بحيث يُمكن لنا أن نشبّهها بالضّغط الجوّيّ - ونستعير التعبير هنا من الدكتور علي الوردي - الذي يضغط كواهل الناس بحيث يعتادون عليه ولا يشعرون به إلّا عند خروجهم من إطاره، فالدولة تنشئ إطاراً معرفياً وتُعيد إنتاجه بما يرسّخ البنى الطبقيّة والتوزّعات الاجتماعيّة القائمة على أفكار تسوتطون اللاوعي واللاشعور الجماهيري.

الدولة إذاً ذات بنية فوقيّة وتحتيّة، لا كبنية ماركس الفوقيّة والتحتيّة، حيث يرى الصراع القائم على وسائل الإنتاج بنية تحتيّة لكلّ تمظهرات الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة بل والفكريّة لدى الشعوب والجماهير، بل الأمر على العكس - كما يرى بورديو - حيث إنّ الثقافة وما أسميناه بالبنية المعرفيّة المعقّدة التي يُعاد إنتاجها بشكل يوميّ ودوريّ هي البنية التحتيّة لكلّ التفاعلات الاقتصاديّة والسياسيّة التي تظهر في الصحف والإعلام ووسائل التواصل المتعدّدة.

من هنا نرى أنّ من الخطأ تفسير الدولة بما لها من احتكار للعنف الماديّ والفيزيقيّ الذي يتمثّل في مؤسّسات الجيش والقوى الأمنيّة ونحوها، بل لها عنف رمزيّ يتمثّل في إعادة إنتاج التصنيفات والترتيبات ذاتها، وبعبارة أخرى، إنّ كينونة الدولة قائمة على الخضوع والطّاعة، وعدم الخروج عن القانون، وهذه الأمور قبل أن تكون سلوكيّات هي في الأصل رؤية معرفيّة لماهية الطّاعة ومشروعيّتها وكذلك مشروعيّة المطاع.

إذا أردنا البحث عن المؤشّرات التي تُظهر كيفيّة ممارسة الدولة للعنف الرمزيّ والاعتباريّ - التي هي كيان معرفيّ له ظهورات مادية ورمزيّة - نجد أنّها تتمثّل بالتعليم والخطابات الدينيّة والسياسيّة وشتّى الأساليب التي تصنع «الذهنيّة» و«اللاشعور الاجتماعي والسياسي»، وسيكون مصبّ الكلام في هذا المقال عن تأثير نماذج الخطاب اللساني الذي ينتهجه الزعماء لإعادة ترسيخ البنى المعرفيّة التي يقوم عليها الفعل المعرفيّ للجمهور.

يكتب غوستاف لو بون في كتابه الشهير «سيكولوجيا الجماهير»: «من خلال دراسة خيال الجماهير، رأينا أنّها معجبة فوق كل شيء بالصور. هذه الصور ليست متوافرة دائماً، لكن من الممكن إثارتها في مخيّلة الجماهير عن طريق الاستخدام الحكيم للكلمات والعبارات» (دار الرافدين، بيروت، الطبعة الثانية، 2020، ص 138). ذلك أنّ الكلمات والخطابات والتغريدات تحتوي على عنصر الصورة التي تثيرها في مخيال الناس: فاستعمال كلمة «الديمقراطية» مثلاً أو «اليسار» أو «الإرهاب» أو «التطرّف» أو غيرها، ليست استعمالات بمعناها اللغويّ ذاتها، وبعبارة أخرى، إنّ كينونة الدولة بالنسبة إلى السياسيّين عبارة عن كود (أو تعبير مشفّر) عن صور ومواقف وإفرازات وترتيبات اجتماعيّة وسياسيّة وطائفيّة في بعض الأحيان. عندما خرج بوش في يوم من الأيام للإعلان عن نشر الديمقراطية، فإنّ إعلانه هذا ترافق مع تصريح بأنّه بدأ بحرب صليبية جديدة. لكن في الوقت عينه قد تجد مثقّفاً ليبرالياً إسلاميّاً عربيّاً يتلقّف «الفتوحات الأميركيّة الديمقراطية» وكأنّها مجرّدة عن الحواضن التي نشأت منها. إنّها لعبة الكلمات والمصطلحات.

وكذلك قد ترى أنّ مفاهيم كالحرب على الإرهاب أو التطرّف أو الإسلاموفوبيا وغيرها التي تتلبّس لبوس القيم والإنسانية مفاهيم تتكرّر وتتوتّد حتى تصبح حقيقة لا يُمكن النزاع حولها، ولكنّها في العمق ليست إلّا مفاهيم تُعيد إنتاج الهيمنة الأميركية على أوساط صار «الإسلاميون» هم الأعداء بعدما كان «السوفيات» مثلاً.

في الحقيقة إنّ الصراع العالميّ يُنتج مفاهيم تفرضها حيثيّات الصراع وتُصاغ عبر كلمات وتعبيرات تُعيد بها إنتاج التصنيفات السياسيّة للقوى. ففي المشهد الاقتصادي نجد العالم في الأدبيّات الإعلاميّة والسياسيّة ينقسم إلى «شمال وجنوب»، أمّا في المشهد السياسي - خصوصاً قبل انهيار الاتحاد السوفياتي - فإنّه ينقسم إلى «شرق وغرب»، ناهيك بانقسامه إلى «أبيض وغير أبيض» في زمن سحيق، انبعث بسحر ساحر بعد اندلاع العنف ضد العنصرية في الولايات المتّحدة إثر جريمة مينيابوليس الأخيرة. وكيفما كان، فإنّ الكلمات التي تعبر القارات والأذهان وتصبح لغة يوميّة بين المثقّفين والإعلام والناس هي صنيعة الصراع القائم بحيث تهدف لإعادة إنتاج ترتيبات وتصنيفات الصراع.

إذا كان الأمر كذلك على مستوى الصراع العالميّ وبين الدول، فإنّ الأمر ذاته بين قوى الدولة الواحدة، فتكرار مفهوم «حب الحياة» الذي انتشر يوماً ما في لبنان من قِبل فريق معيّن مقابل «سلاح المقاومة»، ليس إلّا عنفاً رمزيّاً يختزل ثنائية عنفية كذلك - كما يسميها جاك دريدا - بحيث صارت المقاومة على نقيض الحياة، مع أنّ الفلاسفة والأدباء عبر التاريخ اعتبروا أن القتل في سبيل الكرامة والقيم طور أعلى من أطوار الحياة الماديّة، لكن بسحر الكلمات المكتنف بالتصنيفات والمصالح السياسيّة تم تجاوز جميع هؤلاء الفلاسفة. مجدّداً إنّ لعبة الكلمات في السياسة ليست بالأمر الهيّن بالنسبة إلى صُنّاعة مخيال الجمهور. كذلك الأمر بالنسبة إلى مصطلح التكنوقراط الذي غزا الأذهان في الأمس القريب في لبنان، لم يكن ذا مساس بمعناه المُعجميّ بقدر ما عبّر عن حاجة لمخرج مفاهيميّ جديد لطبقة سياسيّة بُغية إعادة إنتاج نفسها بما يُرضي الجمهور - جمهوراً معيّناً بالطبع - فالتعريف المعجمي استناداً إلى الموسوعة السياسية للتكنوقراط هو أن «الحكومة التكنوقراطية مختلفة عن الحكومة الديمقراطية التقليدية في اختيار الأفراد المنتخبين لدور قياديّ من خلال عملية تؤكّد مهاراتهم ذات الصلة وأداءهم المثبت، في مقابل ما إذا كانوا يملكون مصالح الأغلبية للسكان أم لا. وتستند القرارات التي يتخذها التكنوقراطيون إلى معلومات مستمدّة من المنهجيّة العلميّة بدلاً من الرأي العام». ونجد في هذا التعريف عزلاً تامّاً للرأي العام وهو ما نجد نقيضه في التداول المفهوميّ له في لبنان.

> شعار «حب الحياة» في لبنان جاء نموذجاً لـ «العنف الرمزي» (حسب دريدا) الذي يقدم المقاومة كنقيض للحياة

وبعبارة جامعة «إنّ الصور المُثارة من قبل الكلمات مستقلّة عن معانيها، فهي تختلف من عصر لآخر ومن شعب لآخر، رغم تطابق الصيغ التعبيرية. إنّ كلمات معيّنة ترتبط بصور معيّنة بشكل مؤقت، فالكلمة ليست زرّ الاتصال الذي يجعل الصورة تظهر» (غوستاف لو بون، المصدر السابق، ص 139).

من هنا، فإنّ أوليات التحليل السياسي للخطاب ينبغي أن تنطلق أولاً من الحس النقدي للكلمات والمفاهيم، وعدم التسليم بالنتاجات التعبيرية التي تلقي الكلام على عواهنه دون تمحيص وتدقيق، وهذا التحليل إذا ما كشف اللعبة ينبغي أن يعيد إنتاج الصياغات الخاصّة المناسبة للصراع أو المنافسة أو الموازين. نحن في لعبة أذهان قبل أن نكون في لعبة القرارات والسياسات الضيقة، ومن دون تحريرها ستبقى الجدالات العقيمة تدور في حلقة تعيد إنتاج نفسها بشكل يومي خلف الشاشات والندوات وطاولات الحوار والمنصّات الافتراضيّة.

* باحث في الانتروبولوجيا

آيا صوفيا مسجداً!

الشيخ ماهر حمود

ضجيج في غير محلّه، أوشك أن يكون زوبعة في فنجان. لماذا هذا الضجيج سواء كان مؤيّداً مرحّباً، أم كان معارضاً مُديناً؟ لا شكّ في أنّ الأمر يتّخذ أبعاداً مختلفة بحسب الزاوية التي ننظر منها إلى هذا الموضوع. وأظنّ أنّ الاختصار لا يجدي، فلا بدّ من تفصيل.

أولاً: لا ينبغي لأحد أن يعترض من حيث المبدأ على إعادة افتتاح «آيا صوفيا» كمسجد، فهذا من حقّ السلطات التركية، كائناً ما كان موقفنا منها. بل المنطق هو أن ندين مصطفى كمال أتاتورك على قرار تحويلها متحفاً. ولعلّ الضجيج حول هذه المسألة نابع من ارتباط الأمر بقضيّتَين هما في غاية الأهمية:

الأمر الأول: الحوار الإسلامي - المسيحي الذي يؤثّر بالتأكيد إيجابياً وسلبياً على حياة كثير من المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء.

الأمر الثاني: ارتباط هذا الأمر بحقوق الإنسان وحرية المعتقد، وهنا ينبغي التفصيل.

أولاً: في ما يتعلّق بالحوار الإسلامي - المسيحي الذي قد يكون من أهم المواضيع وأكثرها حساسيّة، فلا ينبغي اعتبار إعادة تحويل «آيا صوفيا» إلى مسجد أمراً يناقض العيش الإسلامي - المسيحي، خصوصاً أنّه ليس في تركيا اليوم مسيحيون، وأن السياح المسيحيين لن يقصدوه من أجل الصلاة، بل من أجل الاطّلاع على التاريخ والآثار. وإن كان هنالك من ضجة فهل يستطيع المسلمون المطالبة بمساجد الأندلس الرائعة الجمال التي حُوّل بعضها إلى كنائس، وبطريقة استفزازية إلى حدّ بعيد؟ صحيح أن العالم المسيحي، (وهو ليس مسيحياً بالمعنى السلوكي الكامل، بل هو مسيحي بمعنى الانتماء العام)، يبدو أكثر تسامحاً من عالم المسلمين الذين هم بدورهم لا يطبّقون الإسلام كما ينبغي. يبدو عالم المسيحيين أكثر تسامحاً من عالم المسلمين، لاعتبارات عمليّة وتطوّر ملحوظ للقوانين المدنية، وليس من باب الالتزام المسيحي المحض. يبقى، في المحصّلة النهائيّة، أنّنا في عالم مسيحي متطوّر مدنيّ بشكل عام، وأكثر رحابة وعدالة من عالم المسلمين... وبغض النظر عن التفاصيل، لا نرى أن إعادة تحويل «آيا صوفيا» إلى مسجد يؤثّر على هذه الصورة العامّة لعلاقة العالَمين الإسلامي والمسيحي.

ثانياً: بالنسبة إلى حقوق الإنسان، رأى بعضهم أنّ إعادة افتتاح «آيا صوفيا» كمسجد يناقض شرعة حقوق الإنسان، وحرية التدين، وحقوق الغير، وما إلى ذلك... كأنّ شرعة حقوق الإنسان، الموقّعة عام 1949، والمقدّرة عالمياً والمكمّلة برأينا في كثير من الأبعاد للشريعة الإسلامية. كأنّها تطبّق فعلاً بين الشعوب، منذ واحد وسبعين عاماً! إن هذه الشرعة انتُهكت بكلّ نوع من أنواع الانتهاكات. ولا تزال تُنتهك، وباستمرار، وبشكل دراميّ، كل يوم تقريباً. والأمثلة صارخة من فلسطين إلى اليمن مروراً بالعراق ولبنان وسوريا، وقبل ذلك فيتنام وجنوب أفريقيا والكوريتين، وما لا يحصى من الحروب في أفريقيا، بل وفي عقر دار أوروبا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي (البوسنة والهرسك مثالاً). لقد هالني ما سمعته على لسان البعض، من أنّ العالم بعد شرعة حقوق الإنسان هو غيره قبلها، وليت الأمر كذلك. ألا ترون كلّ هذه القضايا التي تُدان بها شعوب تبحث عن حقوقها المهدورة على رأسهم الشعب الفلسطيني؟

ثالثاً: إذا انتقدنا إعادة افتتاح «آيا صوفيا» مسجداً، فإنّنا ننتقد ذلك من وجهة نظر مختلفة تماماً عن الذين استندوا إلى الموضوعَين السابقَين، أي الحوار الإسلامي المسيحي وحقوق الإنسان، فإنّ كان لنا أن ننتقد فنحن ننتقد ذلك من موقع إسلاميّ ملتزم، وليس من موقع موافق لمنطق المتعصبين أو الذين يعيشون أوهام صراع الحضارات. وحول هذه المسألة يمكن أن نفصّل نقاطاً ثلاثاً.

النقطة الأولى: ستكون إعادة افتتاح «آيا صوفيا» كمسجد خطوة في الاتجاه الصحيح، إذا ترافقت مع إجراءات ضرورية للخروج من العلمانية والأتاتوركية البغيضة التي شوّهت صورة تركيا وانتماء أهلها... بل شوّهت حتى صورة العلمانية حيث بالغت كثيراً في الإجراءات القمعيّة والشكليّة إلى حدّ كبير. وأهم نموذج على ذلك منع الأذان باللغة العربية، حتى أعاده عدنان مندريس إلى اللغة العربية، فكان جزاؤه الإعدام شنقاً عام 1960 بحجج واهية، وهو الرئيس المنتخب شرعياً، فيما الذين أعدموه لا يمثّلون إلا النفوذ الأميركي.

النقطة الثانية: لا شكّ في أن تأكيد «إسلامية» الحكم التركي لا ينبغي أن تنحصر في موضوع «آيا صوفيا»، بل هنالك خطوات أكثر أهمّية وأكثر تعبيراً عن إسلامية هذا الحكم، كما يراه مؤيّدوه إذ يصوّرونه مشروع خلافة إسلامية حديثة مصغّرة الأبعاد. يبقى الأهمّ هنا، السعي إلى تقليص النفوذ الأميركي المتمثّل بالقواعد الأميركية الضخمة (وأهمها أنجيرليك) التي انطلقت منها الطائرات الأميركية لتدمير العراق وأفغانستان وغيرهما. فأي إسلام نرجوه تحت النفوذ الأميركي؟

النقطة الثالثة: فيما يدافع كثيرون بغير حق، عن دور تركيا في سوريا وفي ليبيا، نجزم وبكلّ ثقة وعمق أن ما فعله إردوغان في سوريا كان جزءاً من المؤامرة الدولية على سوريا، ولم يكن بحال من الأحوال محاولة للإصلاح! فهؤلاء الذين دُرّبوا وسُلّحوا في تركيا، وفُتحت لهم الحدود، وتم إمدادهم بكل أنواع القوة، لم يكونوا بحال من الأحوال البديل المطلوب عن النظام السوري، ولم يكونوا مؤهّلين لا للعدالة ولا للوطنية ولا لأيّ هدف محترم.

أمّا الأمر في ليبيا فليس أكثر من صراع نفوذ يذكّرنا بداحس والغبراء، وبحرب البسوس، أكثر من أيّ شيء آخر.

إذاً هنا مربط الفرس، وهنا التحدّي الحقيقيّ، وهنا التنافس الإيمانيّ على طريق الإسلام الحقيقيّ... هذا هو الاختبار الحقيقيّ للنيات، لا مجرّد إعادة افتتاح مسجد، مع تقديرنا لذلك.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - الصدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15 - 01/666314 - 03/828381
■ الموقع اللكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

تقرير

بينما تنصبّ الجهود العلميّة في العالم على إيجاد لقاح لفيروس كورونا المستجد، تبدو جهود إسرائيل موجّهة إلى هدف آخر: كيفية التعايش مع الفيروس. فقد طوّرت شركات إسرائيلية ناشئة عدداً من الابتكارات التي تفصّر مدّة اكتشاف الإصابة، إذ وصلت في بعضها إلى ثلاثين ثانية فقط! وكالعادة، تسوّقه إسرائيل ما انتجه علماؤها كـ«محاولة لإنقاذ العالم»، بغضّ النظر عن اخلاقية الطريقة التي ستُخرج بها العالم من عزلته

إسرائيل تستخدم أجساد الهنود في اختبارات «كورونا»!

احد مطوّري تقنية اختبار الزفير كان يعمل في سلاح البحرية الإسرائيلية (أ ف ب)

بيروت حمود

اقترب عدّاد المصابين في إسرائيل من عتبة الستين ألفاً منذ بدء تفشي فيروس كورونا. أمّا الإصابات النشطة، فهي أكثر من 32 ألفاً، ومع ذلك «لا يبدو العدد كافياً لإجراء تجارب الكشف عن الإصابة»، كما تدّعي السلطات الإسرائيلية. ولهذا تسافر بعثة خاصة بقيادة «مديرية البحث وتطوير الوسائل العسكرية والبنى التحتيّة التكنولوجية»، التابعة لـوزارة الأمن، إلى الهند، لإجراء سلسلة تجارب بوسائل تكنولوجية مختلفة، لتشخيص الإصابة بالفيروس عند الهنود. الحملة الإسرائيلية «غير المسبوقة» تقودها ثلاث وزارات، الخارجية والأمن والصحة، بالتعاون مع مكتب العلوم الرئيس الهندي. وستصل إلى الهند بعثة رفيعة لـ«مديرية البحث» من أجل استكمال المراحل الأخيرة من بحث تكنولوجي متقدم للتشخيص السريع لـ«كورونا»، كما قالت الخارجية الإسرائيلية على موقعها. في التفاصيل المذكورة أنه منذ تفشي الوباء اختبرت المديرية عشرات التقنيات للتشخيص، وجزء منها «نجح في الكشف عن مصابين في إسرائيل»، لكن «من أجل استكمال البحث وإثبات فعّاليّة التجارب تجب تجربتها على قطاع واسع من المصابين والمرضى... من الصعب التجربة على كل هذه الأعداد خلال وقت قصير في إسرائيل». هذا ما تدعيه «الخارجية»، قبل أن تضيف: «التعاون بين إسرائيل والهند سيُمكن البعثة من جمع عشرات الآلاف العينات خلال عشرة أيام فقط ونقلها للمعالجة المعلوماتية في أنظمة محوسبة تعمل بالذكاء الاصطناعي». وهذه العينة ستقصّر أمد المراحل وتُعجل الموافقة على استخدام التقنيات الإسرائيلية وتسويقها في العالم.

التعاون «الوثيق» بين الهند وإسرائيل تعمّق في السنوات الأخيرة إلى حد تحوّلت معه العلاقات إلى «شراكة استراتيجية» في أكثر من قطاع، ولا سيما الأمن والصناعات العسكرية. ومنذ أزمة كورونا، اتفق الطرفان على «المساعدة المتبادلة والتعاون التكنولوجي والبحثي»، وفق الخارجية الإسرائيلية التي أوضحت أنه «من أجل تطبيق التجارب فرزت الحكومة الهندية فريقاً محلياً من حوالى مئة مختص، والعديد من الذين عملوا في بناء المراكز التي ستجرى فيها التجارب». أمّا التقنيات التي ستجرّبها إسرائيل، فتنقسم إلى أربعة اختبارات: الأول تحليل الموجات الصوتية، والثاني اختبار الزفير أو النَّفَس على أساس موجات «تيراهيرتز»، والثالث الكشف عن الفروق الحرارية، والأخير فحص الأحماض البوليامينية المشترك بين هذه الاختبارات قدرتها على تشخيص الإصابة خلال وقت قصير، فيما تهدف التجربة إلى الكشف عن الطريقة المثلى والأسرع للتشخيص وتسويقها عالمياً، إذ من المفترض وضع الأجهزة الكاشفة في المطارات والمعابر والمستشفيات وغيرها، إذا نجحت تجارب الاختبار. أما البعثة، فمؤلفة من 20 شخصاً (بينهم جهات من الجيش، وكوادر من مديرية البحث والتطوير، وآخرون من الصحة)، ويترأسها السفير الإسرائيلي في الهند، رون ملكا، وملحق الجيش ووزارة الأمن، العقيد آساف ميلر، إلى جانب رئيس قسم الابتكارات في «الصحة»، إيتاي جوردن. كما سينضم المهندسون والمطوّرون من الشركات التي ابتكرت تقنيات التشخيص المُبكر.

وتبيّن أن إحدى الشركات التي طوّرت تقنية الفحص عبر الزفير («النَّفَس») تُدعى «Scentech»، بالتعاون مع شركة أخرى على ما يبدو مموّلة للمشروع تُدعى «NextGen». وقد أخذت الأولى الموافقة على البدء في تجربة تقنيّتها على البشر قبل نحو أربعة شهور، كما يذكر موقع «Ynet» التابع لصحيفة «يديعوت أحرونوت» في تقرير بتاريخ 2020/4/19. والهدف الذي أنشئت هذه الشركة له، كما تعلن على موقعها، هو «خلق بيئة أكثر صحة وأماناً»، وهي تسعى إليه عبر «رقمنة وتحليل الروائح الكيميائية في الجو». وبالتقنيات التي طوّرتها، تحدد بواسطة مستشعر «Scentech» المركبات الكيميائية في الأجواء وتحوّل إلى بصمات رقمية تُضم إلى أوّل قاعدة بيانات للروائح في العالم، أو ما يُشبه المكتبة الرقميّة للروائح. ولهذه الشركة فريق عمل من خلفيات أكاديمية مختلفة، ومعظم أعضائه إسرائيليون وأميركيون، فيما يبرز منهم الإسرائيلي نمرود إلستاين، وهو باحث متخصص في فيزياء الجسيمات، ومدير قسم البحث والتطوير الفيزيائي في الشركة. وخلال مسيرته، عمل نمرود، كما يرد في تعريفه على موقع الشركة، مراقباً فنياً رئيساً في نظام الحرب الإلكترونية في البحرية الإسرائيلية. يقول السفير الإسرائيلي في الهند، ملكا، إن تل أبيب «حصلت على جميع التراخيص اللازمة لإجراء الاختبارات في الهند»، لكنه لم يشر، خلال مؤتمر عبر الهاتف مع الصحافيين الدبلوماسيين، إلى كون المرضى الهنود سيخضعون على أجر مقابل مشاركتهم في الاختبار، أو أن مشاركتهم تطوّعية. كما أقرّ بأنه لا يعلم هل توجد انتهاكات لحقوق الإنسان في الطريقة التي تختار بها السلطات الهندية المرضى لإخضاعهم للاختبارات، وهل سيجري تعويضهم. حتى إن صحيفة «هآرتس» نقلت عن مسؤول إسرائيلي ردّه على السؤال نفسه: «في إسرائيل (نفسها)، تُنتهك حقوق الإنسان... ماذا في ذلك؟».

> لم يجب السفير الإسرائيلي عن سؤال بشأن انتهاك حقوق الهنود

سوريا

تجربة الحجر الصحّي تنمّر وفقر ومراكمة ثروات!

لم يكن تطبيق «الحجر الصحي» على تجمّعات سكنية كاملة تجربة سهلة، إذ أنه أدّى إلى مضاعفة الضغوط الاقتصادية التي يواجهها الأهالي. فيما وضع المؤسسات الرسمية أمام مسؤولية لم تعتد عليها سابقاً، ولا تملك ما يؤهّلها للنجاح في تحمّلها

زياد غصن

أربع مناطق في سوريا خضعت لإجراءات الحجر الصحّي منذ الإعلان عن تسجيل أوّل إصابة بفيروس «كورونا» في البلاد، وهي: منين، السيدة زينب، جديدة الفضل ورأس المعرّة. هذه البلدان عادت جميعها إلى حياتها الطبيعية بعد تأكيد وزارة الصحة أن نتائج المسحات المأخوذة من سكّانها جاءت سلبية، وآخرها رأس المعرّة التي تمّ رفع الحجر الصحي عنها عصر أول من أمس. وكانت الحكومة اتخذت قرار الحجر، أسوةً بما فعلته الكثير من الدول، لمنع تفشّي الفيروس، وهو ما تعامل معه السوريون على أنه «شرّ لا بد منه». لكن ذلك لم يمنع ظهور العديد من المشاكل، في ظلّ شحّ المعلومات عن أوضاع تلك المناطق، واقتصارها على ما يعكس الرواية الرسمية، التي كانت تصوّر التجربة على أنّها شبيهة بتجربة مقاطعة ووهان الصينية، حيث السلع والخدمات مؤمّنة من دون أيّ عناء وحتى من دون أيّ مقابل مادّي.

أما على الأرض، فقد كان الواقع خلاف ذلك تماماً، إذ عاشت أسر كثيرة معاناة مزدوجة: من جهة، الارتفاع غير المسبوق في أسعار السلع، والذي وصل بحسب تقديرات بعض الباحثين إلى نحو 40 - 45 ضعفاً مقارنةً بأسعار عام 2010، في وقت ظلّت فيه مداخيل الأفراد عند حدود متدنّية، حيث متوسّط الرواتب لا يتجاوز الـ 60 ألف ليرة؛ ومن جهة ثانية، قصور أداء مؤسّسات الدولة والوحدات الإدارية نسبةً إلى ما يتطلّبه الحجر الصحي من إجراءات واشتراطات، الأمر الذي اضطرّ الأسر إلى تحمّل نفقات إضافية، أو التأقلم مع الواقع الجديد من خلال التقشّف، أو طلب المساعدة بعد نفاد المدّخرات المالية (إن وُجدت).

فجوة الثقة

لم تكن ردّة فعل الشارع على إخضاع المناطق الأربع للحجر، واحدة، إذ أن السوريين المقيمين بعيداً عن تلك المناطق استغربوا الخطوة بعد إعلان عدم تسجيل أيّ إصابات ذات منشأ محلي لفترة طويلة، وهذا ما دعا البعض إلى المطالبة بإعادة فرض حظر تجوال جزئي داخل المدن، ومنع السفر بين المحافظات. أما في المناطق القريبة من البلدات المعزولة، فقد سادت حالة من الخوف، مصحوبة بحالات تنمّر أحياناً. وبحسب مواطن من بلدة رأس المعرة تحدث إلى «الأخبار»، فقد «كانت هناك حالة تنمّر كبيرة تجاه سكان البلدة، سواء من قِبَل المناطق المحيطة التي تهرّب بعضها من استقبال أيّ مريض مهما كان مرضه، أو من قِبَل المجتمع والمؤسسات الرسمية عبر تعاملها مع أبناء البلدة المقيمين خارجها، ومنهم الطلاب الموجودون في دمشق، والذين تمّت إعادتهم قسراً إلى بلدتهم من دون إجراء أيّ مسحات لهم، وتهديد مستقبلهم الدراسي لهذا العام».

أمّا سكان البلدات الأربع، فقد كان لخبر إخضاع مناطقهم للحجر الصحي وقع الصدمة. وفي هذا الإطار، تقول الصحافية نسرين علاء الدين، المقيمة في بلدة جديدة الفضل، إنه «منذ الساعات الأولى للحجر سادت حالة من الخوف والقلق بسبب الوضع الاقتصادي السيئ لمعظم الأسر، وهو ما دفع الكثيرين للبحث عن أيّ طريق للخروج من البلدة». وتلفت في اتصال مع «الأخبار» إلى أن «هناك مشكلة سابقة في التواصل بين السكان والبلدية سببها عدم الثقة بوعود الأخيرة»، مضيفة أن «خطة البلدية للاستجابة هي خطة إسعافية، لكنها غير مبنيّة على معطيات الواقع لجهة الاحتياجات الحقيقية وكيفية إيصال الخدمة إلى المستحقين، وهذا ما جعل المواطنين متخوّفين دائماً من احتمال تأثير المحسوبيات».

> تُرك السكان يحتكّون ببعضهم البعض من دون أيّ إجراءات احترازية او توعوية

عزل بالاسم فقط

المفارقة أن عملية العزل كانت نظرية فقط؛ إذ ظلّت الحياة داخل البلدات الأربع على طبيعتها تقريباً، بل إن الازدحام في الأسواق كان أكبر مما هو في أيّ منطقة أخرى، في ظلّ نقص السلع المسموح بإدخالها إلى تلك المناطق. وبحسب علاء الدين، فإن «أبناء البلدة كانوا حذرين عند إعلان وفاة أول حالة في المنطقة، لكن إجراءات السلامة مكلفة مادياً للكثيرين؛ فمثلاً وصل سعر القفازات الطبية الرقيقة إلى أكثر من 500 ليرة سورية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سعر الكمامة العادية. أما المعقّم فهو أيضاً مكلف وغير موجود لدى جميع الصيدليات». ومع ذلك، فإن هناك «عدداً قليلاً من الأشخاص يرتدون الكمامات والقفازات، وهم إما كبار السن أو من العاملين الذين هم على تماس مباشر مع الناس.

لكن الازدحام يبدو جلياً في المكان المخصص لتسليم المعونة، في الأسواق، عند مبنى البلدية، وغيره من الأماكن العامة».

وهذا أيضاً ما حصل في بلدة رأس المعرة، حيث «تُرك السكان يحتكّون ببعضهم البعض من دون أيّ إجراءات احترازية أو توعوية، وخاصة في الفترات التي شهدت فيها البلدة نقصاً في العديد من السلع والخدمات كالغاز مثلاً، فضلاً عن ارتفاع أسعارها وتفاوتها بين بائع وآخر»، وفق ما يفيد به مواطن من البلدة. وعلى رغم تسجيل تحسّن ملحوظ في بعض الخدمات العامة مقارنة بالأيام السابقة لتطبيق الحجر، إلا أن ذلك لم يخفّف من وطأة ارتفاع الأسعار، وغياب آلية عادلة وصحية لتوزيع المساعدات.

ربما يكون إخضاع أربع بلدات للحجر الصحي كافياً للمؤسسات الحكومية لتقييم نتائج تلك التجربة، بغية تفادي ثغراتها مستقبلاً، في حال اضطرار السلطات إلى فرض الحجر على مناطق أخرى، وخصوصاً مع تزايد عدد الإصابات المحلية المسجلة يومياً. لكن، باستثناء خطوة محافظ القنيطرة المتمثلة في إحالة رئيس بلدية جديدة الفضل وعدد من الموظفين في البلدية إلى النيابة العامة بـ«تهمة التسبّب والسماح بمخالفات بناء ضخمة خلال فترة الحجر الصحي»، فإن أيّاً من الجهات الحكومية لم تبادر إلى اتخاذ إجراءات مشابهة تُشعر المواطن بحرصها على محاسبة مَن حاول استغلال الأزمة لمراكمة ثروات وأرباح على حساب المواطنين.

ربما يكون إخضاع اربع بلدات للحجر الصحي كافياً للمؤسسات الحكومية لتقييم نتائج تلك التجربة (أ ف ب)

كورونا

اللقاح الروسي قبل نهاية العام؟

في تطور لافت وسريع للأحداث، اعلنت فالنتينا ماتفيينكو، وهي رئيسة مجلس الاتحاد الروسي، يوم الخميس، أن عملية إنتاج اللقاح الروسي ضد «كورونا» قد تبدأ قبل نهاية العام الحالي. من جهة أخرى، اعلن وزير الصحة الروسي ميخائيل موراشكو، في مؤتمر صحافي الخميس، أن «استخدام لقاح محتمل ضد فيروس كورونا الجديد في روسيا، قد يبدأ في شهر آب/أغسطس المقبل، عبر تطعيم الفئات التي تعتبر أنها في خطر مرتفع»

يستخدم اللقاح الروسي نوعين من فيروس «Adenoviruse» هما «Ad5» و«Ad26» (أ ف ب)

علي عواد

يحمل اللقاح اسم «Gam-Covid-Vac Lyo»، من إنتاج مركز «غاماليا» للأبحاث، وهو مركز تابع لوزارة الصحة الروسية. تم تصنيعه بطريقة مشابهة للقاح الصيني، لكن عبر استخدام نوعين من فيروس «Adenoviruse»، هما «Ad5» و«Ad26»، والذي يصيب البشر، بعكس اللقاح البريطاني الذي يعتمد على فيروس «Adenoviruse» الخاص بحيوان الشمبانزي. تم استخدام تقنية الهندسة الجينية وتعديل الفيروسين لينتجا تيجاناً مشابهة لفيروس «كورونا» الجديد، من دون أن تكون ضارة بالإنسان. ومن ثم يطور الشخص المحقون باللقاح استجابة مناعية من ناحية الخلايا التائية «T-cells»، ومن ناحية الأجسام المضادة «Antibodies». اللقاح حالياً ما زال في المرحلة الثانية من التجارب السريرية، والتي ستنتهي في 3 آب/أغسطس المقبل. بعدها ستبدأ المرحلة الثالثة من التجارب، لتحدد أياً من نوعي «Adenoviruse» المستخدمين هو الأفضل، إذ إن المشكلة الحالية تكمن في أن المرحلة التجريبية الأولى للقاح الصيني، الذي يعتمد على فيروس «Adenoviruse» الخاص بالبشر، بيّنت أن الأفراد الذين تطوّعوا للتجربة وكانوا قد اصيبوا من قبل بفيروس «Adenoviruse» البشري وطوروا مناعة ضده، كانت استجابتهم المناعية بعد حقنهم باللقاح تتضاءل بشكل أسرع (وجدت الصين حلاً لهذه المشكلة بعد انتهاء المرحلة التجريبية الثانية). وهذا هو سبب استخدام التجربة الروسية لنوعين من فيروس «Adenoviruse» البشري، وفق الرئيس التنفيذي لصندوق الاستثمار المباشر الروسي (صندوق الثروة السيادية الروسي الذي أنشأته الحكومة الروسية والذي يقوم بتمويل أبحاث مركز «غاماليا») كيريل دميتريف. يوضح الأخير، بحسب ما نقل تقرير لوكالة «بلومبرغ»، أن المرحلة الثالثة من الأبحاث ستبرهن أياً من الفيروسين هو الأفضل لاستخدامه كلقاح، والأقل احتمالية أن يكون قد طوّر أحدٌ مناعة ضده.

تحتل روسيا اليوم المركز الرابع من جهة عدد الإصابات بفيروس «كورونا» في العالم. وصحيح أن عدد المصابين الكلّي بلغ أكثر من 800 ألف شخص، إلا أن عدد من شُفي من هؤلاء يبلغ نحو 590 ألفاً. لكن الأيام والأسابيع الماضية حملت معها أرقام إصابات جديدة ووفيات كبيرة، لذا تتخذ روسيا مقاربة مختلفة لكيفية إجراء المرحلة الثالثة من التجارب السريرية على اللقاح، بشكل مختلف عن باقي الدول. في العادة، تستمر المرحلة الثالثة من التجارب لعدة أشهر، من أجل التأكد من فعالية اللقاح وأمانه. ولكن بحسب ديميتريف، فإن اللقاح الروسي تجري تجربته بحسب الأطر الإكلينيكية الرسمية، وأيضاً خارجها، إذ تم اعطاء اللقاح لعدد كبير من الأشخاص خارج منظومة التجارب السريرية، وعلى سبيل المثال: يقول مدير مركز «غاماليا» إنه هو عائلته قد حقنوا أنفسهم باللقاح، وقبل بدء التجارب الرسمية حتى. ستبدأ المرحلة الثالثة من التجارب مباشرة بعد الانتهاء من المرحلة الثانية، أي في الثالث من آب/أغسطس المقبل، وستشمل التجربة آلاف الأشخاص داخل روسيا وخارجها، مثل السعودية والإمارات.

من المحتمل جداً أن تكون روسيا هي الدولة الأولى التي تبدأ بتصنيع اللقاح، إذ لروسيا القدرة على إنتاج اللقاح، بمعنى تصنيعه، بشكل أسرع وأكبر من باقي الدول. حتى إن هناك اتفاقاً تمّ توقيعه في الأيام القليلة الماضية بين شركة «أسترازينيكا» البريطانية وشركة «آر فارم» الروسية، كي تقوم الأخيرة بالمساعدة على إنتاج اللقاح البريطاني داخل الأراضي الروسية. وفي هذا الشأن، ينفي ديميتريف الاتهامات التي وُجّهت إلى بلاده من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا، بأن مجموعة من القراصنة الروس والتابعين للاستخبارات الروسية حاولوا الاستحواذ على معلومات تخصّ اللقاح البريطاني، قائلاً إن الشركة البريطانية ذاتها قد نقلت جميع المعلومات الخاصة بعملية تصنيع اللقاح إلى شركة «آر فارم» الروسية من أجل أن تقوم بإنتاجه. كما أن روسيا لديها خبرة أكبر في التعامل، واستخدام فيروس «Adenoviruse» لصنع لقاحات ضد أمراض أخرى، إذ قامت بصنع لقاح ضد فيروس «إيبولا» عبر استخدام تكنولوجيا مشابهة لما تقوم به الآن ضد «كورونا»، وسيتم توزيع اللقاح المضاد لفيروس «إيبولا» قريباً في الكونغو.

> لدى روسيا خبرة مع هذه التقنية، إذ سبق ان استخدمتها ضد «إيبولا»

لقاحان أميركيان

إلى جانب اللقاحين الصيني والبريطاني اللذين وصلا مرحلة التجارب الثالثة، واللقاح الروسي في محطته التجريبية الثانية، ثمّة لقاحان أميركيان أيضاً على وشك البدء بمرحلة التجارب الثالثة:

الأوّل، من شركة «مودرنا»، اسمه «mRNA-1273»، يعتمد تكنولوجيا مختلفة عن اللقاحات الأخرى، إذ يعمل عبر حقن الأفراد بـ«RNA» موجه يحمل معلومات خاصة بفيروس «كورونا» إلى الخلايا البشرية، لتقوم الأخيرة بالتعرف إلى الفيروس وإنتاج استجابة مناعية ضده، من دون أن تكون تعرّضت لفيروس «كورونا» بشكل فعلي. سيدخل اللقاح المرحلة الثالثة في 27 من الشهر الحالي.

الثاني، هو نتيجة عمل مشترك لثلاث شركات: «بيونتك» الألمانية، «ب-فايزر» الأميركية و«فوسن فارما» الصينية. يعمل بشكل مشابه للقاح شركة «مودرنا»، لكن بحسب تقرير نشرته صحيفة «نيويورك تايمز»، فإن بعض الأفراد الذين تطوّعوا للمشاركة بالتجارب، عانوا من عوارض جانبية متوسطة، مثل اضطرابات في النوم وتقرّح في الأذرع. ستبدأ المرحلة الثالثة من التجارب على اللقاح أواخر الشهر الحالي.

تقرير

الاتفاق الأوروبي «التاريخي»: أكثر من «تعافٍ» وأقلّ من فدرالية

توصّل القادة الأوروبيون إلى اتفاق وصف بـ«التاريخي» لإنعاش اقتصاداتهم المصابة بالشلل منذ الأزمة الصحية. وعلى الرغم من رجحان خيار القروض المشتركة لإنقاذ السوف الداخلي الأوروبي، بعد تجاذب طويل بين الدول الأعضاء في الاتحاد، فإن الإعلان عن التزام بسير أوروبا على درب الفدرالية يبدو شديد المبالغة

لينا كنوش

توافق الأوروبيون، إثر قمّة امتدت لأربعة أيام وفي أجواء سادها التوتر، على إنشاء صندوق يبلغ حجمه 750 مليار يورو، ما يتيح للمفوضية الأوروبية إمكانية الحصول على قروض ضخمة لا سابق لها. يتضمّن هذا المبلغ، أوّلاً، منحاً بقيمة 390

> التموضع في مواجهة الصين هو أيضاً بين الاعتبارات التي تحكم مشروع التعافي

مليار يورو للدول الأكثر تضرراً من الجائحة. وستقوم الدول الـ 27، كل حسب نسبة مساهمته في الثروة الأوروبية، بتسديد هذا القرض بين 2028 و2058. يتضمّن هذا المبلغ أيضاً 360 مليار يورو كديون مباشرة يتم تسديدها من قبل الدول المقترضة. هذه الصيغة لاقتراض المشترك من شأنها أن تسمح للبلدان الأكثر تأثراً بالأزمة بالاقتراض بشروط ميسّرة للغاية (معدلات للفائدة قريبة من الصفر) وبالتسديد على مدى طويل جداً. وما قد يسهّل هذا التسديد هو تأمين موارد جديدة عبر فرض ضريبة أوروبية كرسوم على الشركات الرقمية العملاقة وضريبة على المجموعات الاقتصادية الكبرى ورسم على الانبعاثات الكربونية.

ستكون إيطاليا، التي يعاني اقتصادها من انكماش يتوقّع صندوق النقد الدولي أن يصل إلى نسبة 12.8 في المئة ودين عام يوازي 157 في المئة من ناتجها المحلي الإجمالي، المستفيد الأوّل من دعم يقدّر بحوالى 209 مليارات يورو. لكن الاتحاد الأوروبي يحتفظ بحق الاطلاع على كيفية استخدام هذا الدعم، وينتظر من البلدان المستفيدة منه أن تشرع في مجموعة من الإصلاحات في ميدان الصحّة ونظام التقاعد وأن تعزّز مشاريع الاستثمار الوطنية في مجالي الطاقة المتجددة والتكنولوجيا البيئية.

هذا الاتفاق الذي اعتبر لحظة تاريخية تطلّب تقديم تنازلات مهمّة لـ«جبهة الرفض» (هولندا والنمسا والدنمارك والسويد) التي عارضت عملياً التضامن مع بلدان الجنوب الأوروبي المتهمة بسوء الإدارة. وحتى نيسان/ أبريل الماضي، كانت ألمانيا، التي أصبحت مع فرنسا مهندسة مشروع التعافي، تعارض بحزم الاقتراح الفرنسي بإصدار سندات باليورو تسمّى «سندات كورونا» تحصل عليها الدول الأوروبية الأكثر تضرراً، من ضمن دين مشترك. ما دفع برلين إلى تغيير موقفها والتفاهم مع باريس على المشروع المذكور هو خطر انهيار السوق الداخلي مع التراجع الإيطالي. دول جبهة الرفض، من جهتها، غيّرت بدورها موقفها بعدما خفضت قيمة المنح التي ستقدّم، وكذلك نسبة مساهمتها في ميزانية الاتحاد الأوروبي. وقد أدان العديد من المراقبين دفاع هذه الدول عن مصالحها الوطنية الأنانية ورفضها دعم بلدان الجنوب الأوروبي، بينما هي تستفيد من شبكاتها الإنتاجية. وقد برز في هذا المضمار موقف هولندا الشديد التصلب والمطالب بزيادة التعرفات الجمركية في المرافئ لأن قسماً منها يذهب إلى خزائن الدول.

يندرج مشروع التعافي في الحقيقة في إطار مقاربة واقعية للمتغيرات الجارية في السنوات الأخيرة (أ ف ب)

ما زالت ردود الفعل الوطنية السيادية هي القاعدة وليس الاستثناء، على الرغم من كثرة الحديث عن قفزة أوروبية نوعية إلى الأمام نحو الفدرالية والتضامن. ويندرج مشروع التعافي في الحقيقة في إطار مقاربة واقعية للمتغيرات الجارية في السنوات الأخيرة. هو يلبي حاجة ظرفية للتعاون بين الأوروبيين لتجنب انهيار اقتصادات بعض بلدانهم، في ظلّ تحولات جيوسياسية دولية تضيّق من هامش المناورة المتاح لأوروبا. وبينما تقوم الولايات المتحدة باستهداف الصادرات الألمانية، وتبدي الصين أيضاً استعداداً أقل لاستقبال الصادرات الأوروبية، ويركّز كل من البلدين على سوقه الداخلي، يصبح الخيار الوحيد بالنسبة إلى أوروبا هو التحور حول الذات. فبكين التي كانت قاطرة الانتعاش الاقتصادي بعد الأزمة المالية سنة 2008، وقامت باستثمارات ضخمة في أوروبا، أعلنت أخيراً أن خطتها للتعافي ستكون «صنع لأجل الصين».

التموضع في مواجهة الصين هو أيضاً بين الاعتبارات الجيوسياسية والاقتصادية التي تحكم مشروع التعافي الأوروبي. منذ بداية الأزمة الصحية، ارتفعت حدة التوتر في العلاقات الصينية - الأوروبية، وتجد بكين نفسها اليوم مستهدفة بجملة من الإجراءات التي ينص عليها هذا المشروع، وأوّلها فرض رسوم جمركية عند الحدود الأوروبية على جميع المنتجات المستوردة من خارجها. وقد أعلن شارل ميشيل، رئيس المجلس الأوروبي، ومنسق قمّة دول الاتحاد الأخيرة، بوضوح، أن هذا الإجراء موجّه ضد بلدان كالصين، لا تحترم المعايير الاجتماعية والبيئية وتقوم بالإضرار بمصالح الشركات الأوروبية عبر إغراق الأسواق بمنتجات شركاتها بأسعار لا تستطيع هذه الأخيرة منافستها. وحسب رأيه، فإن الأوروبيين تصرفوا بسذاجة عندما فتحوا حدودهم أمام الشركات الصينية ولم يطالبوا بالمعاملة بالمثل للشركات الأوروبية في الصين. ولكن حتى الآن، بقيت الضريبة على السلع الصينية مجرد إعلان نيات لأن كل ما يتعلق بالسياسة الضريبية ينبغي أن يقرّ بإجماع جميع الدول الأوروبية. وقد اتضح خلال القمة الأوروبية الأخيرة مدى الانقسام حول هذه النقطة بالذات. لا يزال الاتفاق بين القادة الأوروبيين بحاجة إلى موافقة البرلمانات الوطنية عليه للسماح بعدها للمفوضية الأوروبية بالقيام بالاقتراض. وستتم مناقشته أيضاً في البرلمان الأوروبي، ولن يكون نقاشاً سهلاً. وللتذكير، فإن مشروع التعافي مرتبط بالميزانية الأوروبية بين 2021 و2027 والمقدّرة بـ 1074,3 مليار يورو. بعض النواب الأوروبيين غير موافق على القيمة الإجمالية لمشروع التعافي، وكذلك على التخفيضات التي قررت بالنسبة إلى برامج البحث والتعاون الدولي. وإذا كان من المستبعد أن يعاد النظر في أسس الاتفاق، فإن بعض القضايا التفصيلية كالسياسة الضريبية قد تجري مراجعتها.

تقرير

الصين أمام تزايد العداء الأميركيّ: ردّ بالمثل... بلا تصعيد

لم تشأ الصين اتباع النهج العدائي للولايات المتحدة، في ردّها على إغلاق بعثتها الدبلوماسية في هيوستن الأميركية، بل هي ردّت بإجراء عُدّ متناسباً، لكونها اختارت إغلاق قنصلية أميركية ليست من بين الأكثر أهمّية لديها، تجنباً لمزيد من التصعيد المفتوح على مصراعيه

باتباعها سياسة الردّ بالمثل بعيداً من تصعيد إجراءاتها ضدّ الولايات المتحدة، تترك الصين الباب موارباً أمام «تصحيح» مسار العلاقات مع الأميركيين، الذين قرّروا، كما يتّضح يوماً تلو آخر، أن يخوضوا معركة الهجوم إلى آخرها. قرارٌ عبّر عنه السلوك العدائي لواشنطن إزاء بكين، والذي تصاعد في الأسابيع الماضية، تحت قيادة وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، وهو ما يندرج، بحسب مراقبين، في إطار استراتيجية «جمهورية» لكسب مزيد من الأصوات في الانتخابات الرئاسية المرتقبة في تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل، عبر تكثيف الهجمات على «فزاعة» اسمها الحزب الشيوعي الصيني. من هنا، يُنظر إلى أمر إغلاق القنصلية الأميركية في مدينة شينغدو، ردّاً على إغلاق الولايات المتحدة البعثة الدبلوماسية الصينية في هيوستن، بوصفه ردّاً متناسباً من حيث الحجم والتأثير، لا يعدو كونه مواصلة لأسلوب الردّ بالمثل على الإجراءات الأميركية. يبيّن ذلك جلياً بيان وزارة الخارجية الصينية، وخصوصاً لجهة إشارته إلى أن «الوضع الحالي للعلاقات الصينية - الأميركية هو ما لا ترغب الصين في رؤيته، والولايات المتحدة مسؤولة عن هذا كله»، ودعوته الأخيرة، مجدّداً، إلى التراجع عن قرارها و«خلق الظروف الضرورية لعودة العلاقات الثنائية إلى طبيعتها».

على أن ذلك يبدو مستبعداً قبل 100 يوم من الاستحقاق الرئاسي الأميركي، بدلّ قرار الصين استهداف بعثة شينغدو في جنوب غرب البلاد، دون سواها من بعثات أميركية أكثر أهمّية، على أن يكبّ حريصة على تجنيب العلاقات بين البلدين مزيداً من التأزّم، أياً كانت نتيجة الانتخابات؛ وتغطي القنصلية الواقعة في إقليم سيتشوان، والتي فُتحت في عام 1985، كل المنطقة التي تقع فيها، وخصوصاً التيبت. وفي عام 2013، طلبت بكين من واشنطن تقديم تفسير في شأن برنامج للتجسّس، عقب ورود معلومات أفادت بأن خريطة بالغة السرّية سرّبها المحلّل السابق لدى أجهزة الاستخبارات الأميركية، إدوارد سنودن، تُظهر وجود منشآت مراقبة لدى سفارات وقنصليات أميركية في مختلف أنحاء العالم، ومن بينها قنصلية شينغدو. وعن سياسة الردّ بالمثل، يلفت أستاذ العلوم السياسية المساعد في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو، فيكتو شيه، إلى أن الصين «اختارت الردّ بشكل متناسق بدلاً من الردّ بشكل مفرط يفاقم التوتّر في العلاقات الثنائية، ويستجلب ردّاً أميركياً في المقابل». وفيما أثارت الخطوة قلق المستثمرين ودفعت بالبورصات العالمية وأسعار النفط نزولاً على خلفيّة تصاعد التوتّر بين العملاقين، اعتبر الدبلوماسي الصيني السابق، وانغ يبوي، أن الوضع لم يكن سيئاً بالدرجة المتوقعة. وقال لـ«بلومبرغ»: «من غير الممكن القيام بخطوة متساوية تماماً، لكن اختيار شينغدو يُظهر أن الصين تريد تقليل الضرر بالعلاقات الثنائية»، ولا سيّما وأن «العمليّات التي تجرى من البعثة ليست أكثر عمليات البعثات الأميركية في الصين أهمّية، مقارنة بشنغهاي مثلاً».

> دعت بكين إلى خلق الظروف الضرورية لعودة العلاقات إلى طبيعتها

رغم ذلك، لم يعجب البيت الأبيض أسلوب الردّ بالمثل؛ إذ دعا الناطق باسم مجلس الأمن القومي، جون أوليفر، الصين إلى «وقف الأعمال الخبيثة» بدلاً من إغلاق بعثة دبلوماسية أميركية، والتي تضعها واشنطن في إطار «سرقة الملكيّة الفكرية ومعلومات الأميركيين الخاصة». وبرّر الأميركيون قرارهم إغلاق البعثة الصينية في هيوستن، بكون الأخيرة «وكراً جواسيس صينياً»، والتعبير لبومبيو الذي يقود نيابة عن رئيسه دونالد ترامب، الهجوم الجديد ضدّ الصين. فالوزير الأميركي جدّد دعوته إلى «العالم الحرّ» بأن «ينتصر على الطغيان الجديد» المتمثّل بإيديولوجية الحزب الشيوعي، قائلاً إنه يجب على الولايات المتحدة وحلفائها استخدام «طرق أكثر ابتكاراً وحزماً» للضغط على «الشيوعي» لتغيير أساليبه، واصفاً تلك المهمّة بأنها «مهمّة عصرنا». وفي خطاب ألقاه من كاليفورنيا واتّسم بنبرة تذكّر بتلك التي طبعت لغة التخاطب بين الولايات المتّحدة والاتحاد السوفياتي السابق إبان الحرب الباردة بينهما، قال بومبيو إنّ الصين هي اليوم دولة «استبدادية أكثر فأكثر في الداخل، وأكثر عدوانية في عدائها للحرّية في كل مكان آخر»، متهماً الرئيس الصيني، شي جين بينغ، بأنه «تابع مخلص لإيديولوجية شموليّة مفلسة». وحذّر في خطابه الذي ألقاه في مكتبة ريتشارد نيكسون الرئاسية في يوربا ليندا من أنّه «إذا لم يغيّر العالم الحرّ الصين الشيوعية، فإنّ الصين الشيوعية سوف تغيّرنا»، متهماً بكين باستغلال واشنطن والسخاء الغربي بطريقة أنانية، في الوقت الذي أجرت فيه إصلاحات وانضمّت إلى الاقتصاد العالمي خلال العقود الأربعة الماضية.

(الأخبار)

تبدو الصين حريصة على تجنيب علاقاتها مع الأميركيين مزيداً من التأزم (أ ف ب)

مصر

الدولة تبحث عن المال في أراضي السفارات!

بدأت وزارة الخارجية المصرية العمل على «توفيق أوضاع» عدد من السفارات الأجنبية الموجودة في القاهرة من أجل حصولها على أراضٍ في حي السفارات في العاصمة الإدارية الجديدة. ويتوقع نقل غالبية السفارات الأجنبية إلى الحي الجديد الذي يحمل اسم «الحي الدبلوماسي»، على أن تبني كل سفارة، أو منظمة دولية، المبنى الذي يناسبها، بالتنسيق مع الجهات الرسمية. وقرّرت «شركة العاصمة الإدارية للتنمية العمرانية»، المسؤولة عن المشروع بالكامل ويتشارك في رأسمالها وزارة الإسكان مع القوات المسلحة، زيادة سعر المتر في «الدبلوماسي» لتكون 500 دولار (ما يعادل نحو 8 آلاف جنيه) بعدما كان نحو 400، أي ضعف سعر المتر المخصّص للأراضي التي تمّ الحصول عليها من أجل الإسكان.

في مساحة كبيرة، تجهز الشركة نحو 1300 فدان للسفارات المختلفة، فيما جاء لافتاً إقبال عدد من السفارات على شراء مقرات جديدة في «الإدارية» برغم تجديد مبانيها السابقة وكذلك مواقعها المتميزة في القاهرة، وفي مقدمتها السعودية التي تمتلك في محافظة الجيزة أكبر سفارة لها في العالم، واستغرق بناؤها سنوات، وتضم برجين فاخرين. في التفاصيل، حدّدت إدارة العاصمة الجديدة الأراضي بين فدان واحد إلى 24 فداناً طبقاً لما تطلبه سفارة كل دولة، مع مراعاة أمور منها طبيعة المهمات التي ستنفذ في السفارة وعدد الموظفين المحتملين.

وستوفر «الإدارية» للسفارات مساحات خضراء وطرقاً تمثل نحو 40% من إجمالي المخصّص للمنطقة، مع «مراعاة الشكل الحضاري في البناء، وتوفير تأمين كامل يختلف جذرياً عن وسائل التأمين التقليدية المتبعة في مقرات السفارات في الوقت الراهن في قلب العاصمة»، طبقاً لمصادر مسؤولة. أيضاً يجري توفير عروض للحصول على مبانٍ سكنية تصلح للسفارة والعاملين فيها بالقرب من «الحي الدبلوماسي» الذي لا يزال قيد الإنشاء، في المقابل، طلبت سفارات دراسة مبادلة مبانيها القائمة في القاهرة مع المباني الجديدة في «الدبلوماسي»، وهي طلبات تدرسها حالياً الخارجية المصرية. واستبدال مباني السفارات في القاهرة الكبرى مع المباني الجديدة سيزيد فرص زيادة الأرباح التي تجنيها «شركة العاصمة الإدارية»، وخاصة مع القيمة العالية للأولى فضلاً عن موقعها المميز الذي يمكن الاستفادة منه لبناء أبراج سكنية تحقق أرباحاً ضخمة، وهو ما يجري دراسته بهدوء، وخاصة أن التفاوض على الاستبدال يقوم على أساس تجهيز مبانٍ مماثلة وربما أفضل للسفارات مقابل تنازلها عن السابقة.

وفيات

ذكرى

لمناسبة مرور مئة عام على ولادة السيد

جعفر شرف الدين

وتسعة عشر عاماً على وفاته يذكّره أهله ومحبّوه بتلاوة السورة المباركة الفاتحة عن روحه الطاهرة.

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات

الأخبار

هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

إعلانات رسمية

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب المحامي الاستاذ روكس سليم حبيقه بوكالته عن السيد مبارك ابراهيم حبيقة مالك العقار رقم /5154/ من منطقة بسكنتا العقارية سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المالك مبارك ابراهيم حبيقه.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

دعوة عامة

جمعيّة عموميّة عاديّة

السادة مالكي الحقوق المختلفة في العقارين

رقم 1761 و1762 من منطقة البترون العقاريّة

مشروع سان ستيفانو بيتش

عملاً بالبند الثاني من الفصل الرابع فقرة (د) من النظام الخاص لمشروع سان ستيفانو بيتش.

تدعوكم لجنة مالكي البناء القائم على العقارين رقم 1761 و1762 من منطقة البترون العقاريّة، إلى جمعيّة عموميّة عاديّة نهار السبت الواقع فيه 2020/08/08 الساعة الحادية عشر قبل الظهر في المشروع الكائن في البترون وذلك للبحث في جدول الأعمال التالي:

1 – المصادقة على التقرير الصادر حول المصاريف المشتركة للعام 2019 وإبراء ذمة رئيس الجمعية.

2 – المصادقة على الموازنة الموضوعة للعام 2020.

3 – أمور مختلفة.

رئيس لجنة مالكي البناء القائم على العقارين 1761 و1762 البترون

مرسلينو يعقوب الحرك

إعلان قضائي

قررت المحكمة الابتدائية المدنية في صيدا برئاسة القاضي فرنسو الياس وعضوية القاضيين ريما عاكوم وايلي بو مراد بالقرار الصادر بتاريخ 2018/4/24 رقم 2018/21 بشطب العلامة التجارية رقم 132439 من سجل العلامات لدى مصلحة حماية الملكية الفكرية في وزارة الاقتصاد والتجارة وشطب تسجيل الاسم التجاري Stride Rite من السجل التجاري في حال وجوده وتسجيله والزام المدعى عليه حسن علي هاشم بالامتناع الفوري عن استعمال العلامة التجارية المذكورة أعلاه أو أي علامة مشابهة لها وإلزامه بإتلاف كل الاشارات عن اليافطات والاعلانات وفي الأوراق وعلى البضائع وذلك اينما وجدت وإغلاق كل المواقع الالكترونية ووسائل ترويج المارکة المقلدة والامتناع عن أي عمل يعد بمثابة مزاحمة غير مشروعة وذلك خلال شهر من تاريخ النشر.

رئيس القلم

سلام الغوش

تبليغ

صادر عن محكمة النبطية المدنية يدعو قلم هذه المحكمة المدعى عليه حسين رشيد ياسين والمجهول محل الإقامة للحضور إليه لاستلام أوراق الدعوى رقم 2020/227 المقامة عليك من المدعي علي أحمد زكريا بوكالة المحامي جهاد لطفي بمادة إلزام بتسديد مبلغ مالي، وعليك اتخاذ محل إقامة لك ضمن نطاق المحكمة ما لم تكن ممثلاً بمحام حيث يعد مكتبه مختاراً وإلا جاز إبلاغك الأوراق وموعد الجلسة بواسطة رئيس القلم والتعليق على لوحة الإعلانات ضمن المهلة القانونية من تاريخ النشر.

رئيس القلم

محمد صبرا

استراحة

كلمات متقاطعة 3507

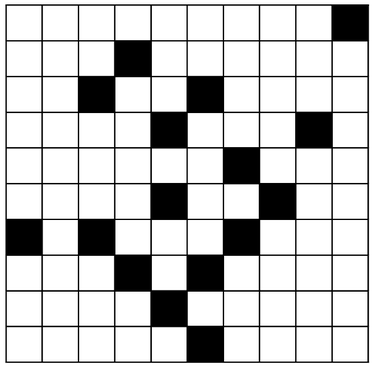

أفقيا

1- مدينة قبرصية – 2- مدينة سورية مركز قضاء بمحافظة طرطوس – من الحبوب – 3- مدينة في اليمن – إله – إله مصري شهير – 4- أوقع الشخص في أمر لا خلاص له منه – ارد على السؤال – 5- عاصمة أوروبية – من مقاييس السوائل – 6- ضمير متصل – من الأزهار – من أدوات الزراعة والريّ – 7- يشرب الماء دون تنفس – نوع من الحيات ضخم جداً – 8- جعله يرث أمواله – تملقّ وتكبّر وغرور – 9- سجينة حرب – عائلة لاعب كرة قدم ألماني سابق كان هدّاف كأس العالم عام 1970 برصيد عشرة أهداف – 10- مسلسل رسوم متحركة ياباني ذو عمق إنساني بطلته طفلة – غضوب جبّار

عمودياً

1- جزيرة في الخليج تتبع إمارة ابو ظبي – 2- هارب من وجه العدالة – مدينة إيطالية في صقلية – 3- مادة مخدرة تستخرج من نبات الخشخاش – عائلة فنّان بلجيكي راحل لهُ أسلوب خاص في الغناء – 4- نمط من أنماط الأدب والشعر الشعبي العراقي – غنيّ – 5- قادم – تلميذ المدرسة – 6- شجر بريّ طيّب الرائحة كانوا قديماً يضفرون من أوراقه أكاليل للمنتصرين يُستخرج منه نوع من الزيوت – حُب – 7- عاصمة جزر بليار – اتصل بقراية – 8- جنّة زعم العرب أنها تطير – مادة بيضاء تُعرف بالكلس – مدينة لبنانية – 9- عالم إيطالي من تلاميذ غاليليه إخترع ميزان الضغط المسمّى البارومتر – 10- الدعمة قبل أن تفيض – أنثى الحصان

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- دار السلام – 2- قاديشا – صلد – 3- بل – خرير – اي – 4- عتبك – تبن – 5- اتجرّ – البلة – 6- لنا – القزّ – 7- صافيتا – 8- خس – الخميني – 9- رخام – بو – هدّ – 10- الفرزدق

عمودياً

1- قبّة الصخرة – 2- دال – تناسخ – 3- إد – عجاف – 11 – 4- ريختر – يامل – 5- أشرب – فتل – 6- لايكا – أخبر – 7- لا – موز – 8- لص – تبلسي – 9- الأبلق – نهق – 10- مدينة زايد

sudoku 3507

9		5	1	7	3	2		4
1		6						
				6			5	
6	9			3	4		1	
	4						8	
	5		7	2			9	6
						5		3
4		7	6	8	5	9		1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3506

8	9	2	1	7	5	4	3	6
7	5	4	2	6	3	8	9	1
6	3	1	4	9	8	5	7	2
1	8	5	9	4	7	6	2	3
2	7	6	5	3	1	9	4	8
9	4	3	8	2	6	1	5	7
5	2	7	6	8	9	3	1	4
4	1	8	3	5	2	7	6	9
3	6	9	7	1	4	2	8	5

مشاهير 3507

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر وروائي ومؤلف مسرحي انكليزي (1854-1900). إحترف الكتابة وأصبح من أكثر كتاب المسرحيات شعبية في لندن. عُرف بمقولاته الحكيمة

10+2+3+1+4+8 = عاصمة زامبيا ■ 5+6+7+11 = جزيرة سورية ■ 9+4 = حرف نصب

حل الشبكة الماضية: **رولان العمري**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 تموز 2020 العدد 4109

صورة وخبر

تبدو آثار الحرب جلية على واجهتي المتحف الوطني في مدينة تعز جنوب غرب اليمن. تذكّر إحداهما بعد ترميمها بعظمة هذا المعلم التاريخي للحضارة العربية، بينما تشهد الأخرى التي لا تزال مدمّرة على ويلات الحرب التي تمزّق البلاد. يشبه بناء المتحف نمط البناء في صنعاء القديمة، وهي أحد أربعة مواقع يمنية مسجّلة في قائمة التراث العالمي التابعة لمنظمة الـ«يونسكو». في حديث إلى وكالة «فرانس برس»، يتذكّر مدير المتحف، رمزي الدميني، كيف كان هذا الصرح «مليئاً بقطع أثرية نادرة ومهمة، استعدنا بعضها، لكن لا تزال هناك أخرى نادرة مفقودة». ومن المقرّر إعادة افتتاح «متحف تعز» في عام 2023. (أحمد الباشا ــ أ ف ب)

رحيل حسين غباش... الأكاديمي والمثقف الملتزم

بعد معاناة مع المرض، رحل أخيراً الباحث والكاتب والأكاديميّ والدبلوماسيّ الإماراتي حسين غباش (1951 ـ 2020/ الصورة)، مخلّفاً إرثاً أدبيّاً وعلميّاً وثقافيّاً ثريّاً. عاش الراحل تحوّلات مهمّة عرفها الخليج عامّة، كما أنّه اشتهر بنضج تكوينه الثقافي، ورؤيته الوطنيّة والقوميّة، وهو الذي لطالما كان مسكوناً بالهمّ العربي. وما سلسلة مقالاته الصادرة في كتاب «الإمارات والمستقبل نحو رؤية وطنيّة جديدة» (1999 ـ دار الخليج) إلّا دليل على ذلك. إلى جانب الصحافة، نشط غباش على صعيد الأبحاث، خصوصاً في ما يتعلق بتاريخ وراهن منطقة الخليج العربي. ومن أهم هذه المؤلّفات، كتابه «عُمان: الديمقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث» (1997 ـ دار الجديد) الذي تتبّع فيه تحوّلات هذا البلد على مدار قرون، فضلاً عن كتاب «الجذور الثقافية للديمقراطية في الخليج: الكويت والبحرين تاريخ الشعوب الصغيرة» (2010 ـ دار الفارابي).

ديبلوماسياً، عمل في سفارات الإمارات في عدد من البلدان، ومثّل بلاده لسنوات في الـ«يونيسكو»، كما درّس في السنوات الأخيرة في «جامعة القديس يوسف» في بيروت التي عشقها كما دمشق. ولأنّ قلبه خفق لفلسطين، خصّها بمؤلّفات عدّة، كـ«فلسطين ـ حقوق الإنسان وحدود المنطق اليهودي» (1987) الذي قدّم فيه دراسة مهمّة حول حقوق الإنسان الفلسطيني، ووقف فيه عند حقائق تاريخيّة، كاشفاً ادّعاءات «الدعاية الصهيونية».

«درج» شادي الهبر يُفضي إلى «المدينة»

انطلاقة مسرحية «درج» لـ «مسرح شغل بيت» كانت متعثّرة قبل أشهر بسبب فيروس كورونا. العمل الذي كتبه ديمتري ملكي وأخرجه شادي الهبر وتؤدّيه مايا سبعلي (الصورة)، سيُعرض في «مسرح المدينة» بين 13 و16 آب (أغسطس) المقبل. يتتبع العمل امرأة تجد نفسها في إحدى الليالي على درج طويل وسط العاصمة اللبنانية، لا تعرف إلى أين يؤدي، ولا كيف وصلت إليه. ومن خلال مغامرتها هذه، سيتعرّف الجمهور إلى بعض جوانب حياتها والأحداث التي عصفت بها، بالإضافة إلى أهم ثلاث تجارب كبرى عاشتها، وجعلتها تصل إلى هذا المكان. إنّها باختصار حكايات «حبّ وحرب ووجع وتجارب شخصية».

«درج»: 13 و14 و15 و16 آب ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «مسرح المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 01/753010

مسيرة كندية: دافعوا عن فلسطين وقاطعوا «إسرائيل»

ضِمن أسبوع «أيام للمُقاومة»، وتحت شعار «دافعوا عن فلسطين وقاطعوا إسرائيل»، دعت مؤسّسات فلسطينيّة وتضامنيّة عديدة في مقاطعة بريتيش كولومبيا الكندية إلى مسيرة جماهيريّة مشتركة، في الثامن من آب (أغسطس) المُقبل. قالت مصادر في «شبكة صامدون» إنّ هذه الفعاليّة تأتي في إطار مبادرة «أيام للمُقاومة» التي دعت إليها لمواصلة النشاط التضامني مع الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية المشروعة، وكشف جرائم الاحتلال أمام الرأي العام الكندي، موضحةً أنّها مسيرة جماهيرية ستشارك فيها «الجمعية الفلسطينية الكندية»، وحركة BDS، إلى جانب «أصوات يهودية مستقلة»، و«طلاب من أجل الحقوق الفلسطينيّة» وغيرها.

أما المسائل الرئيسية التي ستتناولها المسيرة، فتشمل: الدفاع عن حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وحماية الأرض الفلسطينية من مشاريع الضم والنهب، والدعوة إلى مقاطعة دوليّة شاملة للمؤسسات الصهيونية والنظام الاستعماري العنصري في فلسطين المحتلة، إضافة إلى الدعوة إلى مقاطعة شركات النبيذ الصهيونية التي تلقى بضائعها رواجاً في السوق الكندية، وتسليط الضوء على نضال الحركة الوطنيّة الأسيرة في سجون الاحتلال، علماً بأنّ «الجمعية الفلسطينية الكندية» في فانكوفر تقود حملة منذ سنوات ضد «الوكالة اليهودية» التي تعقد مؤتمراتها السنوية في المدينة، وحملة سيّاسية لمقاطعة المنتجات الصهيونيّة، وخصوصاً النبيذ الفلسطيني ـ السوري المسروق من أرض فلسطين والجولان المحتل. (رابط النشاط على موقعنا)

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 تموز 2020
العدد 4109 السنة الرابعة عشرة
Samedi 25 Juillet 2020 no 4109 14ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

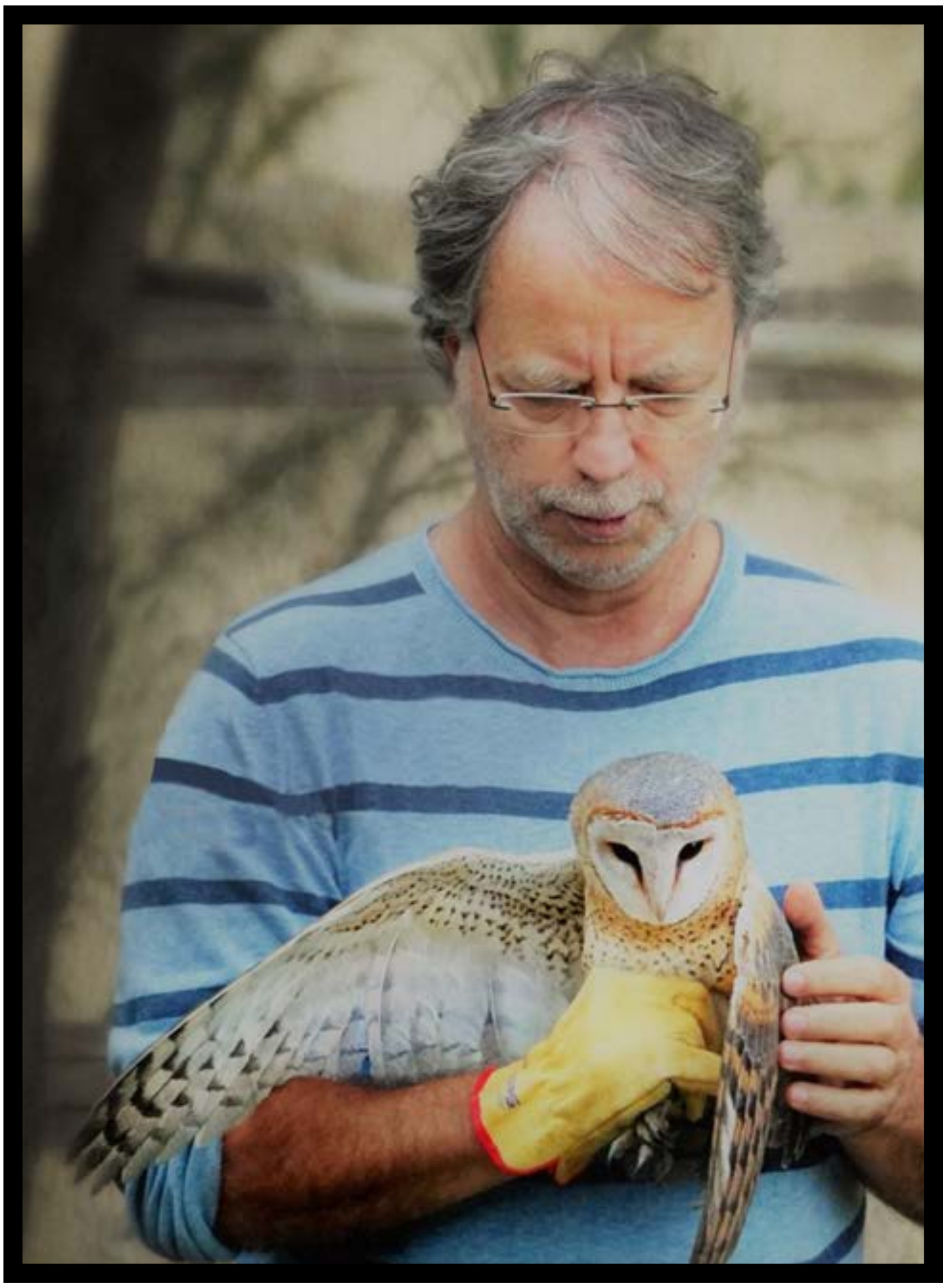

ميا كوتو مهرِّب الكلمات

محمد ناصر الدين

«يبقى مشروعي في الكتابة هو رواية قصة عن طريق الشعر، وأظن أني لن أحيد عن هذا الدرب، وأنا بنفسي، عندما أكتب، أشعر بأنّي مترجِم أكثر من كوني كاتباً، لأني أجد نفسي عند نوع من الحدود: بين الشفاهة والكتابة، بين جذريّة ذات أصول أفريقية وأخرى أوروبية، بين لغات مختلفة تعبّر عن وجهات نظر وقصص مختلفة لخلق الكون... أنا أقرب إلى مهرِّب». هكذا يعبر ميا كوتو (1955)، أحد أبرز الكتّاب الأفارقة البيض اليوم، المتحدّرين من أولاد المستعمرين، عن الاغتراب في الكتابة والإقامة على حدود الأشياء، وهو الحائز جائزة camões، أرفع جائزة في الأدب المكتوب بالبرتغالية عام 2014، وجائزة «نيوشتاد الدولية للأدب» عام 2014.

عرف القرّاء العرب الروائي الموزمبيقي ميا كوتو عبر روايتين: «مدوزن الصمت» (دار دال ـ ترجمة راغدة خوري ـ 2017) و«اعترافات شرسة» (دار الآداب ـ ترجمة مارك جمال ـ 2019)، فيما تصدر قريباً روايته الثالثة «أرض تسير نائمة» (ترجمة مارك جمال) عن «دار الآداب» ضمن مشروع يقضي بترجمة أعمال الكاتب كاملة إلى لغة الضاد، خاصة أن أحد أبرز أعمال الكاتب «رمال الإمبراطور» قد صدر بداية العام في ثلاثة أجزاء مكتوبة بالبرتغالية. عاش كوتو أهوال الحرب في بلده الذي فضّل جنسيته على جنسية المستعمِر، وقاتل في صفوف الجبهة الوطنية لتحرير موزمبيق التي خاضت كفاحاً مريراً من أجل الاستقلال، في بلد تتعايش فيه أكثر من 25 لغة، وحيث الناس يتخاطبون مع «الروح الطوطمية لأجدادهم في المساء، وفي الصباح يصيرون كاثوليكاً أو مسلمين». بعد اللغة الشعرية في «اعترافات شرسة»، يحكي ميا كوتو في ثلاثيته قسوة التاريخ بلغة شبه ناعمة. إذ أن الابتعاد عن الحرب نصف قرن تقريباً لا يُعفي الكاتب من استعمال التاريخ ولغة الماضي للكلام عن الحاضر: التاريخ في بلاد العالم الثالث يحمل روحاً مطاطية، وفي بلد مثل موزامبيق حيث الديانة المهيمنة هي في علاقة مباشرة مع الأرض والطوطم والأجداد والموتى، سيكون غزو الأراضي من الاستعمار ورواسبه أشبه في رمزيته عند أهل البلاد بهدم كنيسة، وهو ما يصوّره كوتو في ثلاثيته في الصراع بين مملكة غازا وملكها نغونغويان والبرتغال المستعمر بقيادة موزينيو وجنوده.

من تموضعه عند «الحدّ» الفاصل بين الهويات واللغات، يرى ميا كوتو في تاريخ البلاد غنى وتنوّعاً أبعد ما يكون عن المآسي الدراميّة، وينبذ الانتماء للهوية الواحدة، في بلاد «يمكن أن يتحول فيها المرء إلى أسد أو شجرة، وحيث لا حدود للهوية المطلقة»، في قلب ثقافة محلّية لا تقيم حدوداً للطبيعة، حيث يتمازج الإنسان مع هذه الطبيعة ويشكلان كُلّاً واحداً. ساعدت الثقافة الأوروبية كوتو كنقطة انطلاق نحو عوالم أخرى، كما يقول في إحدى مقابلاته، لكن أفريقيا علّمته أن يتجاوز الخوف. لم يعُد بحاجة إلى اليقينيات الكبرى، ويمكنه نسج علاقة أبوة مع الأشجار والأنهار والكائنات، فالكتابة عنده هي طريقة لترتيب عالمه الداخلي، وسبيل إلى إضفاء معنى على ما نجهله. «لقد منحتني أفريقيا هدية لا تُقدّر بثمن، أن لا أكون عدوّ ما أجهل، أن لا أمتلك حاسّة الترقّب، وأن لا أجعل من فهم العالم أداة للتحكّم والسيطرة». ترجمة ميا كوتو إلى العربية تضعنا أمام فنّ روائي لا ينفصل عن الشعر، في كتابة أقرب إلى المطر حين يضيء السماء.

ثقافة العالم

في ذكرى رحيله الستين العالم يعيد اكتشاف روايته الأثيرة

ألبير كامو... الكاتب «المتمرّد» الذي استشرف «طاعون» الأزمنة الحديثة

أهم روايات ألبير كامو التي نُشرت للمرة الأولى بالفرنسية عام 1947 أصبحت كتاباً لزمان طاعون الكورونا هذا. تلقف القرّاء نسخها وباعت خلال شهر آذار (مارس) الماضي في اليابان وحده أكثر مما باعته في السنوات الثلاثين الماضية. لكنّ رغم قدرتها الهائلة على لمس المشاعر الإنسانيّة في أجواء العزلة والحصار، وتقديم مقاربة أدبيّة مبهرة لاستجابات البشر في مواجهة الأقدار المحتقَد. إلّا أنّ الرواية غارقة في عنصريّة بغيضة تجاه السكان العرب لمدينة وهران الجزائريّة ـ مسرح الأحداث ـ فكأنهم ليسوا بشراً ولا موجودين، ولا شركاء في مواجهة الكوارث والجوائح الكبرى. لقد حان اليوم ـ مع صعود نجم رواية «الطاعون» مجدّداً ـ أن نُسقط صنم كامو ككاتب ثوريّ، ونعيد إدراجه في مكانه المناسب: مثقّف فرنسي برجوازيّ آخر، تقرا أعماله كجزء لا يتجزّأ من قراءتنا للإنتاجات الثقافة الإمبرياليّة

سعيد محمّد

استعادت فرنسا نجمها ألبير كامو (1913-1960) هذا الربيع كما لم تستعده من قبل. إذ تمرّ هذا العام الذكرى الستّون لغياب أحد أهم الذين كتبوا فلسفة العبث أدباً في أجواء منتصف القرن العشرين المأساوية، ورئيس تحرير «الكفاح» صحيفة المقاومة الفرنسيّة إبان الاحتلال الألماني لباريس بداية الأربعينيّات. رحل مبكراً عن 46 عاماً

اعتبر مثقفون كثر معاصرون له أنّ الرواية تمثّل هروباً جباناً من التاريخ والأسئلة السياسيّة الشائكة المطروحة على الفرنسيين

إثر حادث سير غامض برفقة ناشره ميشال غاليمار، بينما كان في قمّة عطائه الفكري والأدبي، وبعد ثلاث سنوات على تطويبه أديباً عالمياً من قِبل المؤسّسة الثقافة الغربيّة بمنحه نوبل للآداب (1957). لكن ذكرى الغياب وما أُعدّ لها من الأنشطة الثقافيّة والفنيّة توارت وراء الاستعادة غير المسبوقة لروايته الأهم والأكثر نجاحاً «الطاعون» (1947) فور تفشّي وباء فيروس كورونا وإجراءات العزل والإغلاق الاستثنائي التي فرضتها فرنسا وعديد من الدول شرقاً وغرباً في محاولة لاحتوائه. تهافت كثيرون للحصول على نسخة من الرواية كما لو كانت مصل وقاية من كوفيد 19، أو على الأقل للتحصّن من التأثيرات السايكولوجيّة التي فرضها العزل على الملايين. حتى إنّ صحيفة «لو فيغارو» اليمينيّة المعروفة خصّصت افتتاحية لها للتساؤل مع القرّاء: «لماذا نعيد قراءة رواية «الطاعون»؟». وفي فرنسا في ما يتعلّق بأعمال كامو هي دائماً إعادة قراءة. كما كتب أحدهم في مجلّة « لو بوان» عن «الطاعون» بأنها «كنسخة من دليل نجاة للروح في زمان الوباء». ووصفت «لو نوفيل أوبسيرفاتور» الرواية بأنها «إنجيل لأزمنة الشقاء التي نعيشها» وكاتبها بـ «العرّاف الذي رأى كورونا، فكأنه توقّع كل ما يحدث معنا خطوة بخطوة».

ظاهرة «الطاعون» الرواية ـ التي تسرد وقائع متخيّلة عن انتشار الوباء الأسود القاتل بدايات الأربعينيات في مدينة وهران الجزائريّة (المحتلّة حينها) وكيف تعامل سكانها من المستوطنين الأوروبيّين مع حالة الإغلاق التام التي فُرضت على المدينة ـ امتدّت أبعد بكثير من فرنسا إلى معظم مجتمعات الغرب، إذ تضاعفت مبيعات الرواية في المملكة المتّحدة بأكثر من 1000% مقارنة بالسنة الماضية. وقال باعة الكتب في اليابان بأنّ الطلب عليها في شهر آذار (مارس) الماضي وحده فاق مبيعاتها المتراكمة لأكثر من ثلاثين عاماً الماضية، بينما تكرّر انقطاع المعروض منها في متاجر الكتب الإلكترونيّة ـ مثل «أمازون» ـ عدّة مرات، ما دفع الناشر إلى إعادة طبعها أكثر من مرّة.

بالطبع، فإنّ قراءة رواية كامو لا تحمي من القدر، فهي بداية أقلّ بـ 100 صفحة من الـ 350 صفحة التي قد توقف رصاصة من الوصول إلى القلب، كما تَعلّم الجمهوريّون الإسبان بالتجربة أثناء الحرب الأهليّة (1936 ـ 1939). وهي رغم رسمها الدقيق لكثير من مشاعر الاغتراب الإنساني والعزلة والإحساس بالعجز أمام الكوارث الكبرى، إلّا أنّ مثقفين كثراً معاصرين له اعتبروها هروباً جباناً من التاريخ والأسئلة السياسيّة الشائكة المطروحة على الفرنسيين ـ حينها ـ نحو مساحة غير مؤذلجة في مواجهة عدو ليس له وجه البشر. وفوق ذاك كلّه، فإنّ رموز «الطاعون» ومجازها تترك الباب مفتوحاً لتفهّم الرماديّة أو حتى انعدام الموقف في مواجهة العدو والمحتل. إذ يعتقد كثيرون بأن كامو كتب طاعون وهران وفي ذهنه حكاية احتلال باريس وسلطة فيشي، وأنّه امتنع عن تقديم محاضرات أخلاقيّة فيها لأنّه رغم انخراطه ـ كمثقّف ـ في العمل المقاوم، كان يرى أن البشر حين يخضعون لظروف عيش استثنائيّة قاهرة، قلّما يتمكّنون من التفريق الصريح بين الخير والشرّ، والوطنيّة والخيانة، فتستعصي عليهم التصنيفات وتختلط النوايا الحسنة بالأعمال السيئة، والنوايا السيئة بالأعمال الحسنة، أو كلا النوعي العمل من دون نيّات من حيث المبدأ.

موقف رمادي

لعلّ الانتقادات التي وُجهت إلى الرواية فترة صدورها هي ما يراه القرّاء المعاصرون تحديداً مصدر قوّتها. فالطاعون ليست رواية في ألف صفحة مثل «الحرب والسلام» لتولستوي، كي تبدو مهمة مستحيلة أمام الجيل الجديد. كما أنّ بُعدها عن الخطاب الأخلاقي المباشر المرتبط بظرف سياسي. تاريخي محدّد مقابل التوصيف الدقيق للوقائع في وقت الوباء، منحها مصداقيّة عابرة للأزمنة، علماً أنّ كامو قرأ عشرات الكتب عن تاريخ الأوبئة تحضيراً لكتابة روايته، فيما بدا انحيازه للرماديّة مناسباً في سياق مزاج البرجوازيّة المعاصرة التي تفضّل بحكم التكوين تجنّب المواقف الصريحة في الحروب الثقافيّة المفتوحة: الفاشيّة والعنصريّة العرقيّة والبريكاريا (الأجراء بعقود مؤقتة أو صفريّة) وهي تكتفي بإظهار التضامن الشكلي مع الضحايا من دون أيّ رغبة في دفع ثمن لتصحيح الانتهاكات جذرياً.

لكن لماذا وهران في الجزائر تحديداً؟ من المعروف أن كامو ولد في الجزائر لوالدين من المستوطنين الفرنسيين عندما كانت تلك البلاد تُعتبر من وجهة نظر باريس وبحكم القوّة المحض فرنسا جنوبيّة منذ عام 1830. وقد تركت أجواء الشمس الساطعة والشواطئ الممتدة وانعدام الأحداث حدّ الملل فيها، أصداءً لا تخفى في معظم أعماله الروائيّة. ومع ذلك، فإنّ «الطاعون» تتجاهل تماماً الجزائريين أصحاب البلاد الأصليين فكأنهم غير موجودين إطلاقاً، ولا تشير بأيّ شكل إلى أن أبطال الرواية مستوطنون أوروبيون في أرض محتلّة، فيما ثيمة روايته عن مواجهة السكّان للاحتلال، العدّو المشترك لباريس. وبدلاً من التضامن الإنساني المفترض والعابر للهويّات والطبقات للتعامل مع مترتّبات الكارثة كما يُفهم من قراءة سطحيّة للرواية، فإن كامو في الحقيقة يقصر مفهوم البشر على المستوطنين ذوي البشرة البيضاء الذين يلعبون حصراً كل الأدوار أبطالاً وضحايا وكومبارس، مع أنّ تسعة أعشار سكان المدينة التي عرفها كامو خلال الأربعينيات بالفعل كانوا من الجزائريين. وعلى الرغم من توظيفه وباء الطاعون لتمثيل الاحتلال الأجنبي مجازاً معمّماً لكل عدوان غاشم، فإنّه تناسى كون أبطال روايته كانوا هم طاعوناً أسود مسّ الجزائر.

هذا العمى الاختياري الذي مارسه كامو تجاه ضحايا الإمبرياليّة والرأسماليّة لاقى هوى عند البرجوازيّة الفرنسيّة، فباعت روايته أكثر من 100 ألف نسخة في عامها الأوّل، رغم أن الكتب كانت حينها نوعاً من ترف لا يقدر عليه معظم الفرنسيين العاديين. وهو استمرّ خلال عقد الخمسينيات. بعدما صعد إلى قمّة المجد الأدبيّ في تبنّي مواقف رماديّة باهتة تجاه مسألة استقلال الجزائر التي كانت في قلب الجدل السياسي في فرنسا وقتها، فكان يدعو إلى نوع من تعايش سلمي بين المستوطنين والسكان الأصليين في ظلّ ديمقراطيّة شكليّة على النظام الغربي، وعادى جبهة التحرير الجزائريّة بحجّة رفضه العنف، وأصرّ حتى اللحظة الأخيرة على أنّه ـ وهو سليل المستوطنين ـ يمتلك حقاً طبيعياً بالجزائر تماماً كأهلها لا أقلّ.

بكلّ حرفيته الأدبيّة التي لا ينكرها أحد وطلته الغامضة الوسيمة التي سحرت الباريسيات، لم يكن كامو ثوريّاً راديكالياً كما حاول كثيرون تصويره، بل محافظاً رجعيّاً كما يليق ببرجوازي فرنسيّ رثّ محدث نعمة. هو سقط نهائياً في لعبة النخبة الفرنسيّة بعدما توّج بنوبل للآداب، فاستمرأ الأضواء والمتع والإغراء. في موسم إسقاط تماثيل العصور الإمبرياليّة، ليس هنالك من وقت أفضل لنسقط صنم كامو ككاتب ثوريّ، ونعيد إدراج الرجل في مكانه المناسب: مثقّفاً فرنسيّاً برجوازياً آخر، أعماله تجزأ لا يتجزّأ من إنتاجات الثقافة الإمبرياليّة الأوروبيّة البغيضة، ونقرأ «الطاعون» ـ روايته الأثيرة ـ كما هي بالفعل: ممارسة واعية للعمى الاختياريّ عن المظالم الفادحة، فكأننا نقرأ رواية لكاتب إسرائيليّ عن وقائع مرحلة كوفيد – 19 كما عاشها المستوطنون في واحدة من مدن فلسطين المحتلة هذا العام من دون أيّ إشارة إلى الاحتلال العابر أو للسكان الأصليين.

هل كانت المخابرات وراء موته؟

بعد ستين عاماً على غياب كامو، لم يبقَ ما يُقال عنه شخصاً أو سيرة أو نصوصاً. فوجهه مألوف حتى للأجيال الجديدة، وسيرته معروفة لكثيرين كنجم للمقاومة الفرنسيّة وفيلسوف للعبث وفائز بنوبل للآداب كما بموته التراجيدي المبكّر، وروايات، بخاصة «الغريب» (1942) و«الطاعون» (1947)، وكتاباته الفلسفيّة حُلّلت حتى الثّمالة، وقتلت بحثاً وتفكيكاً وتأويلاً. لكن الكاتب والشاعر الإيطالي جيوفانّي كاتيللي له رأي آخر، إذ لا يتوقّف عن إثارة الصخب بشأن غموض الحادثة (4 كانون الثاني/ يناير 1960) التي تسبّبت في مقتل الروائي النجم رابطاً إياها بمؤامرة تليق بقصص الجاسوسيّة في فترة الحرب الباردة، وموجّهاً أصابع الاتهام إلى الأجهزة الأمنيّة السوفياتيّة بتدبير عملية اغتياله بالتواطؤ مع جهات يمينيّة في الأجهزة الأمنيّة الفرنسيّة.

كان كامو قد قُتل على الفور إثر تعرضه لكسر في الرقبة وتهتك في الجمجمة نتيجة ارتطام سيارة الـ «فاسل فيغا» التي كان يستقلّها برفقة ناشره ميشال غاليمار (قضى لاحقاً متأثراً بجراحه) بشجرة على الطريق الجنوب الشرقي نحو باريس. تلك السيارة - وهي من ماركة فرنسيّة للسيارات الرياضيّة الفاخرة اشتهرت في الخمسينيّات على نسق «أوستن مارتن» البريطانيّة - تعرّضت عجلاتها، بحسب سرديّة كاتيللي دائماً، لعبث عملاء الـ «كي. جي. بي» (KGB)، ما تسبّب في فقدان قائدها غاليمار السّيطرة. وللحقيقة، فإنّ الحادثة غير اعتياديّة وفق هيربرت لوتمان كاتب سيرة كامو (نُشرت في 1978)، إذ ينقل عن المحققين استغرابهم وقوع مثل تلك الحادثة القاتلة لسيارة حديثة على طريق مستقيم مستو، عرضه 30 قدماً في وقت لم يكن يشهد أيّ كثافة تُذكر في حركة السير.

ظهرت ادّعاءات كاتيللي أول مرّة في صحيفة محليّة إيطاليّة عام 2011، وما لبثت أن أثارت اهتمام كثيرين من المعنيين بكامو وأعماله لا سيما من هواة المؤامرات والغموض. اهتمام استثنائي استثمره الشاعر الإيطالي بتوثيق الحادثة/ المؤامرة والأجواء المحيطة بها في كتاب صدر بداية بالإيطاليّة بعنوان «يجب أن يموت كامو»، قبل أن تصدر منه نسخة فرنسيّة محدثة وموسعة في إطار الذكرى الستين لغياب كامو بعنوان أقلّ طموحاً «موت كامو» (2020)، على أن تصدر النسخة الإنكليزيّة بالعنوان نفسه في شهر تشرين الأوّل (أكتوبر) المقبل. ويبدو من ردود الفعل في الصحف الباريسية أن القراء الفرنسيين ـ رغم إقبالهم على الكتاب ـ كانوا أقل اقتناعاً بسرديّة المؤامرة من رفاقهم الإيطاليين، إذ لَمح عدّة نقاد إلى محاولة رديئة للتكسّب من وراء مأساة الروائي الراحل، وديّجت مقالات عدّة تسجّل نقاط ضعف قاتلة في ما يدّعيه كاتيللي.

«منذ اكتشافي للأعمال الأدبيّة العظيمة لكامو، ومن تتبّعي لدى انخراطه في السياسة، ساورتني الشكوك دوماً بأن موته المبكّر لم يكن مجرّد حادث سير آخر» يقول كاتيللي. كان كامو بالفعل معروفاً بمواقفه العداديّة للشيوعيّة السوفياتيّة وقريباً من اليساريين الفوضويين، وقد جاءت حادثة مقتله قبل أشهر قليلة من زيارة رسميّة لفرنسا كان نيكيتا خروتشوف السكرتير الأوّل للحزب الشيوعي السوفياتيّ الحاكم (إبريل 1960) يعتزم القيام بها. وتوجست موسكو على ما يبدو بأن تتحوّل على يد كامو تحديداً ـ وهو حينها النجم العالميّ بعد تطويبه بنوبل للآداب ـ إلى مهرجان عالميّ معادٍ للسوفيات بمعرفة اعلام المخابرات المركزيّة الأميركيّة إذا اختار كما كان متوقعاً أن يدين علناً خروتشوف والنظام السوفياتيّ.

كاتيللي التقط بداية الخيط بشأن المؤامرة المزعومة من مطالعته ليوميات جان سابارانا المترجم التشيكي المتخصص في نقل الشعر الأميركي إلى التشيكيّة، إذ يرد فيها ما مفاده أن رجلاً واسع الاطلاع ذا علاقات واسعة (لم يذكر اسمه) أخبر سابارانا (عام 1980) بأن ديميتري شيبلوف، وهو من أركان النظام السوفياتيّ الزائل وتولّى منصب وزير الخارجيّة لفترة وجيزة، أصدر أمراً بتصفية كامو بعدما كتب الأخير نقداً لاذعاً للاتحاد السوفياتي في مقالة له نشرتها إحدى الصحف الفرنسيّة (1957). الخبراء في الشأن السوفياتي استبعدوا صحّة رواية سابارانا، إذ أن شيبلوف كان ذلك العام تحديداً المعارض الوحيد لخروتشوف في اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعيّ، ما تسبّب في غضب الزعيم عليه لينتهي في مناصب شكليّة متدنيّة، موظفاً في الأرشيف، من دون أن يمتلك أيّ تأثير تنفيذي على الأجهزة الأمنيّة السوفياتيّة ويصدر أمراً بتدبير اغتيال نجم عالميّ مثل كامو. وقد نُشرت مذكرات شيبلوف بعد سنوات قليلة من وفاته عام 1995 (ترجمت إلى الإنكليزيّة في 2001) من دون أدنى إشارة لكامو.

لكن كاتيللي لم ييأس. إذ سرعان ما وجد مصدراً آخر يؤكّد مزاعمه بشأن حادثة مدبرة أودت بكامو ضمّنه النسخة المحدّثة من كتابه. كان ذلك جوليانو سبرّالي المحامي الإيطالي الذي بادر إلى التواصل معه عام 2013 بعد اطّلاعه على النسخة الإيطاليّة من «يجب أن يموت كامو» ليخبره بأن صديقه المحامي الفرنسي الشهير جاك فيرجيس – الذي دافع عن المناضلين الجزائريين المتّهمين بتنفيذ أعمال إرهابيّة ضد المصالح الفرنسيّة قبل الاستقلال (1962) وتعرّض للتعذيب من قبل سلطات باريس - أعلمه قبل وفاته حينئذ بأنّ «الحادثة رتّبها عملاء للمخابرات السوفياتيّة بالتواطؤ مع جهات في المخابرات الفرنسيّة». لكن هذا المصدر الجديد لم يقنع كثيرين ومنهم أليسون فينش أستاذة الأدب الفرنسي في «كامبريدج» في بريطانيا التي كتبت بأنه «يكفي استعراض الأسماء التي تروّج لنظريّة الحادثة المدبّرة كي تستبعدها على الفور. فهم متعاطو خيال أدبي: بول أوستر الروائي والمخرج السينمائي الذي كتب مقدّمة النسخة الإنكليزيّة من «موت كامو»، ومثقف تشيكي تعرّضت عائلته للتنكيل على أيدي النظام الشيوعي هو جان سابرانا، ومحام مثير للجدل لا يثق كثيرون بمواقفه لتخصّصه في الدفاع عن المتطرفين من كل الاتجاهات: جاك فيرجيس». وقللت كذلك من منطق تواطؤ المخابرات الفرنسيّة مع نظيرتها السوفياتيّة لتنفيذ عمليّة لتصفيّة قامة أدبيّة بحجم كامو من دون معرفة الرئيس الفرنسي شارل ديغول، المعروف بتبجيله لمثقفي بلاده على اختلاف مواقفهم السياسية بما فيها المعارضة له.

كاتيللي، أتّهم منتقديه يميناً ويساراً بالعمى الأيديولوجيّ الذي يمنعهم من تقبل الإمكانيّة المؤلمة. وبرغم كل الانتقادات واللمز بشأن دوافعه لإبقاء نظريّة المؤامرة حيّة بشأن حادثة مقتل كامو، تأمّل في أن يدفع كتابه بنسخته الجديدة - فرنسيّة وإنكليزيّة - العارفين بالأمور «لتقديم أدلة جديدة تؤيّد ما ذهبنا إليه بشأن المؤامرة ضد هذا الكاتب العظيم قبل أن تمحوها موجات الزمن وتختفي آثارها الواهية وراء التاريخ»، معتبراً بـ «أننا مدينون بذلك للحقيقة، ولكامو».

مقتطف من رواية

مسرحيّة الجثّة (*)

باسم سليمان (**)

الشخصيات: الجثّة، أمّا بقيّة الشخصيات من الطفل إلى المرأة إلى العجوز، فهي حالات تتلبّس الجثّة في اعترافها الأخير. تغيّر الجثّة نبرة الصّوت وفق الشّخصية التي تتقمّصها: الطفل/ المرأة/ العجوز، بالإضافة إلى تغيير حدّة الصّوت بين الأسئلة والأجوبة التي تعرضها على نفسها.

المكان: داخل القبر

الموسيقى: لا يوجد موسيقى! فالموسيقى، هي حركة الممثّل وصوته، وحفيف جسده، وهمهمات الجمهور أو سعالهم، أو رنين هواتفهم، أو صوت خروجهم نتيجة الملل من العرض، أو عدم فهمه. من الممكن الاستعاضة عن عدد من الجمهور بوضع «منكانات» لرجال ونساء وأولاد يظهرون بجسدهم البلاستيكي، بعضهم كامل الجسد، وبعضهم ممثّلاً بجذوع علوية، أو سفلية.

الفصل الأول والأخير/ المشهد الأول والأخير: تظهر مساحة مضاءة وسط المسرح، الإضاءة من الأعلى، والجثّة ملفوفة بكفن كأنّها مومياء، وخلفها في آخر المسرح من الجهتين اليسرى واليمنى يقف الملاكان، منكر ونكير، وتسلّط عليهما إضاءة خافتة مائلة، وهما يضعان رمزي المسرح: الوجه الضاحك والوجه الباكي.

تبدأ الجثّة بفضّ الكفن، لتخرج منه كما تولد الفراشة من الشرنقة. قماشة الكفن البيضاء ملصق عليها ورق أبيض. تخرج الجثّة من الكفن تلبس لباساً أبيض، ووجهها مصبوغ باللون الأبيض، تلقي الكفن جانباً وتحاول أن تبدأ بالكلام، إلّا أنّ قلماً في فمها يمنعها من النطق، تبصقه وتبدأ بالثرثرة.

تسعل وتكحّ بشكل متكرّر، وتهرش جسدها بشكل ظاهر ومكثف.

الجثّة: الظّاهر أنّ رئتيّ مملوءتان بالغبار ككيس مكنسة كهربائية، حتماً هذا من عدم التنفّس لأنّه من دمائي، فمن أنا؟ أنا الخزف الذي يعود تراباً والدليل الغبار الذي في رئتيّ! (تنفض جسدها من الغبار)، وما هذا القلم الذي كان في فمي؟ آه، إنّه حفنة التراب!

تصمت قليلاً وتدوّر رأسها في المكان، ومع الإضاءة الساقطة من فوق تبدو حولها هالة من الغبار.

الجثّة: هذا القبرُ واسعٌ، قالَ حسنٌ، فلو كان ضيقاً، ضاغطاً عليّ؛ لكنتُ في وضع سيّئ. هل أستبشر خيراً لمرّة واحدة في حياتي؟! أوه، أنا ميّتٌ، إذن لتكن الجملة: هل أستبشر خيراً لمرة واحدة في مماتي؟!

تنظر باتجاه الكفن، تقترب منه، تمسكه بيديها، وتبدأ بنزع الأوراق عنه وهي تهرش جسدها.

الجثّة: قَلَمٌ، أوراقٌ بيضاء للكتابة، بدأتُ أفهمُ، آه، أدركت المغزى تماماً، يجب أنْ أدوّن سيرة حياتي الذاتية هنا، فعلى ما يبدو أنّهم في الآخرة يحبون ذلك.

تنظر إلى الخلف، فتجد الملاكين منكر ونكير.

الجثّة: الملاكان العظيمان، منكر ونكير، يا أهلاً وسهلاً، أفهم أنّكما غير مخوّلين بالكلام؛ لكي لا تؤثرا عليّ شهادتي، يحيا العدل.

يتكلّم أحد الملاكين: وليكتب كاتبُ بالعدل.

تجلس الجثّة على الأرض، تضع الأوراق أمامها وتجرّب أن تكتب.

الجثّة: هذا صحيح (تصمت قليلاً) لو كان هناك آلة تسجيل لكان الأمر أفضل (ثم تنظر إلى الأوراق وتصيح) إنّها مفاجأة سارة، فكلماتي قد كُتبَت على الأوراق لوحدها (تضحك) أظنّ بيل غيتس لم يصل إلى هذه التقنية، وما دامت الكلمات تُكتب لوحدها، فهذا أمرٌ جيدٌ جداً؛ فلا يصاب القارئ بعدي بجلطة قلبية من كثرة الأخطاء الإملائية.

تعاود النّظر إلى الملاكين.

الجثّة: ألا تئِسُ أجنحتكما من هذه الوقفة الطويلة؟ سأبدأ الآن، لا تقلقا، أعرف أنّ وراءكما أعمالاً كثيرةً، أعتذر أيّها المبجّلان.

تقف، تتمشّى حول كفنها والأوراق، تضع يدها على بطنها، تصرخ من الألم.

الجثّة: آه، آه، آخ ... إنّها الطعنات التي متُّ بسببها، لكن أين الدماء؟ بالتأكيد نزفتُ حتى الموت، وإلّا لم أكنْ هنا وعلى ما أذكر قبل أن ينطفئ ضوء عينيّ، رأيتُ فيما يشبه الكابوس قطةً تلحس الدّماء المتجمّعة تحتي ثم هربتْ بعدما سمعتْ صوتَ كلب في الجوار، للحقيقة لا أعرف إنْ كُعق الكلبُ من دمائي، كنتُ قد متُّ وقتها.

تصمت وتتحسّس مكان الطعنات، مع استمرارها بالهرش والحكّ.

الجثّة: هذا الغبار بسبب الحكّة، إنّه أشبه بالقمل والبراغيث (تصمت فيما تهرش جسدها مع تأوهات تشي بالمتعة) هذه الطعنات تشبه الشفاه ينقضّها لسان وتتكلّم أو تُقبّل، آه، نسيتُ، اللسان قطعتْه السكين، سكين قاتلي كانت حادّة، دخلت بسلاسة كأنّ بطني قالب من الكاتو، لم أحتفل يوماً بعيد ميلادي. الجثّة تغني: happy birthday to you happy birthday to you،

الجثّة: هذا لا يعني أنّني لم أولد، فموتي دليل على وِلادتي، الأفضل أن أرتّم: happy death to me, happy death to me، اللعنة! هذه الترنيمة تحتاج لترجمة.

تنظر إلى الصفحات الملقاة على الأرض، تبتسم.

الجثّة: هذا ما أسميه الترجمة الفورية (تقرأ): موتٌ سعيدٌ لي، موتٌ سعيدٌ لي.

تقف وتعاود المشي في المساحة المضاءة وهي تتلمّس بطنها.

الجثّة: يوم ولادتي كان تقديرياً، هكذا كتبوا ملاحظة في إضباراتي في الميتم، وتسميتي باليتيم تصحّ جوازاً في حالتي، فأنا لقيطٌ واللّقيط يعني أنّه ليس يتيماً وليس عجيّاً، المهمّ أنا يتيمٌ. هذا هو التوصيف

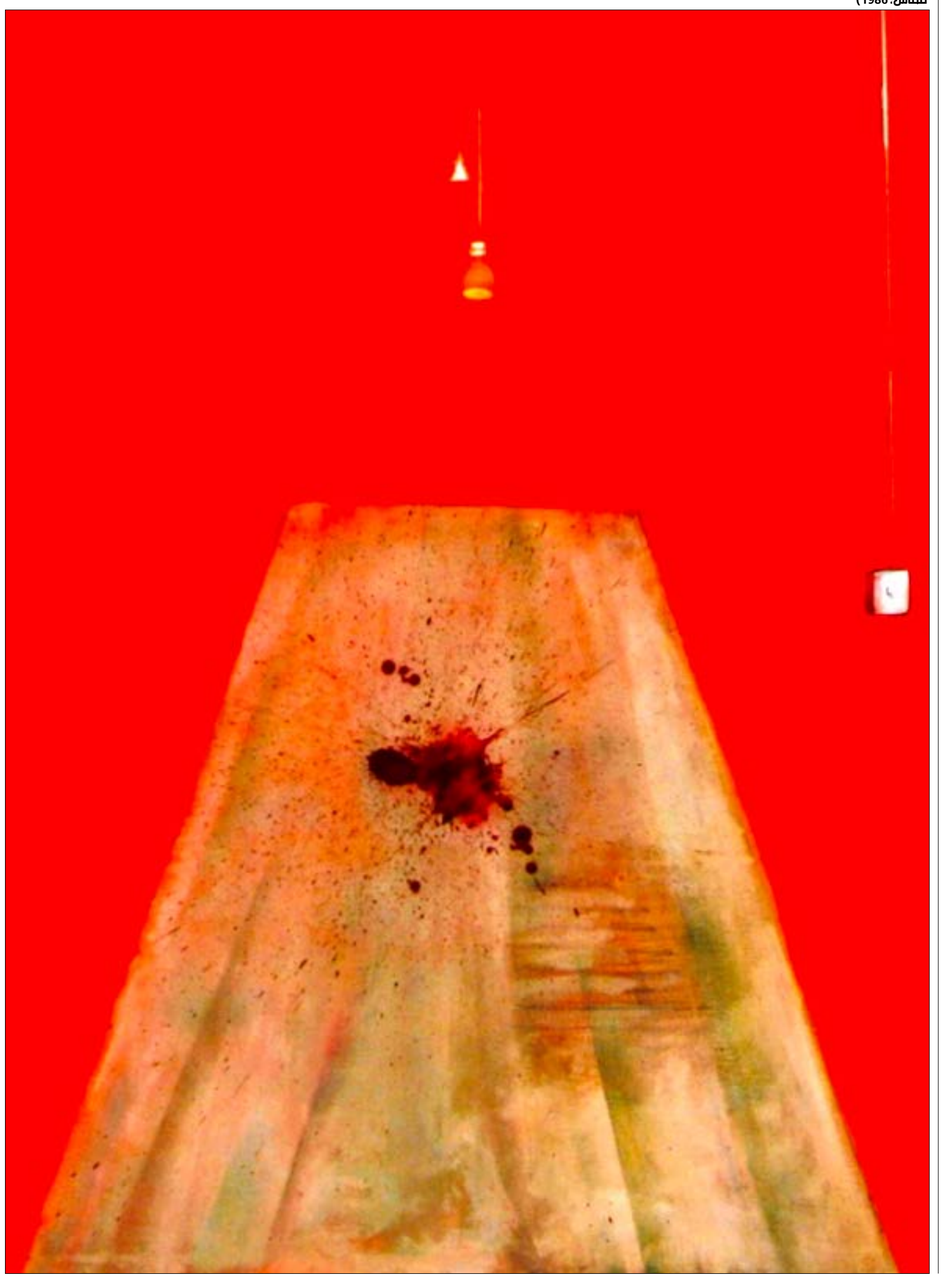

فرانسيس بيكون ــ «دمّ على الأرض» (زيت على قماش، 1986)

قصائد

النومُ في أسرّة الآخرين

حسن ملهبي *

1. تأمل في السراب

غريبة هذه الوحشة التي تنبت في الأعماق، كأنها أعشاب. أمشي بين الغرف كأنني في غابة، لا تشبه غابة بودلير التي من رموزٍ، بل هي الغابة التي أضعتكِ فيها، وسرت فارغاً من كلّ شيء. كل نوم تظهرين في أحلامي، وكم تكونين قريبة ودافئة وتبعثين على الطمأنينة. المس وجهك، اضع يدي بين نهديك واضمك لئلا أفقدك. أعود وأقول لك نفس الكلمات التي أحببتها، أملأ في أن تتكرر كل تلك الحياة. معاً، نمشي إلى أرض الغيبوبة، لا تقولين شيئاً، تسيرين معي فقط. وحين أنظر إلى عينيك أراهما غامضتين، وفيهما كثير من السراب. أنظر إلى عينيك وأعرف كم أنت بعيدة الآن.. حتى وأنا أضمك بيأس، حتى وأنا أستيقظ في الصباح وفي يدي أثر من رائحتك.

لم يعد للضوء من بعدك نفس السطوة على الظلام، أحرك صورتك في خيالي ليتغير شيء في عينيك، أحبهما باردتين، البرودة شيء يُغير، ليست كالدفء تافه وكسول، معه تصير العواطف مائعة وفيها خداع لا يدرك. لهذا أحببت الموت.. موت الآخرين، كان يجعلني بارداً كزجاج، يحرر عينيّ من الضوء، ولا شيء بعد ذلك... أغادر السرير، أذهب إلى المطبخ وأعد قهوة بسكّر كثير.

2. الأرق

أحياناً ننام، فتمشي بأقدامنا أحلام وكوابيس تقود لا وعينا كأعمى.. كمن يؤسس بنوع من السحر بناية من زجاج. حيواناتٌ غامضة وأسلحة متروكة في غرف سرية. كأنه إرث، أو خوف مما كان يوماً مجرد قطن في الراس. حتى المسافة بين السرير والنافذة تصير رملاً متحركاً. ننام، وأحياناً نصحو.. فيأتي الصباح كعادته بضوء يجرح العين. قد لا تكون ثمة حدائق في العالم، لكن نباتات تنمو في منطقة ما من إحساسنا عندما نستيقظ. اليد لا تنتبه غالباً لأول شيء تلمسه، هي مجرد يد تلمس حتى تبرّر وجودها، وحتى تكون الحياة احتمالاً ما للفيزياء. نصحو، وأحياناً نغادر.. إلى أماكن لها تأثير المغناطيس. نحدس الفخاخ والجمال وكل ما قد يصعد من بئر الذات. تكون لأجسادنا رائحة قتلة يحرقون خشباً مبللاً، أو ينظرون إلى دم يتسرب من شعورهم بالذنب. وتبقى الأشياء الأخرى مجرّد زجاج يمنع من الذهاب عميقاً داخل مرآة. نُغادر، وأحياناً نعود.. بتعب ونبيذ في الأعضاء، وفراغ لا يصنع العزلة. تكون القسوة قد عادت لنعومتها، الأفكار لكسلها والمستنقع لصمته، فلا يبقى إلا دفء سجين في أدراج الرغبة. تتشقّق الجدران، تسكن أشباح رمادية عيوننا، فنتسلى بخياطة قميص قديم، قد يساعد ذلك على سقوط المطر، وقد يحدث شيء لا يشبه السراب.. نعود، وأحياناً ننام.

لوسيانو كاستيلي ــ «عاشقان حزينان» (زيتية على كانفاس ـ 64 × 83 سنتم ــ 1989)

3. كمن يداعب ذئباً أليفاً

ساعوّد نفسي على الحنين وأكل البرتقال، لكي لا يخدعني مخمل اللذة ويهجر شبحك غرفتي. سيبدو السرير بعيداً أو مثل سراب، لا يصله الجسد ولا ترغبه الكوابيس. هناك، بين أعشاب سوداء، ستنمو رغباتك وستقفين مشوشة، أنفاسك لذيذة وترفرف حولك فراشات. الليل سيكون ليلاً فقط، أما أنت فالعتمة والبرد والنجوم القليلة، أو كل ما يجعل الخوف ضوعاً خافتاً يقود إلى فراغ غامض. أنا هنا، أحرس سريراً بارداً أو يكاد، أحرس يدي من ذئب الكتابة وأكتفي فقط بالبيانو وصمت الحملان. يوماً ما سأتخلى عما يتشقّق في يدي، عن السرير البعيد والغرفة الغارقة في ضباب الكآبة، مثلك حين تحررت من خيوط وذهبت، كانك ساحرة، تمشين فوق الماء العميق. رأيتك وأنت تغادرين، لم تنتظري ولو قليلاً، فقد كنت ساعمل على ترميم أصابعي لأخيط جرحاً أو أفتت خبزاً يابساً لطيورك. لكنك غادرتِ.. هكذا، وتركت وراءك من سيبتسمون مثل الجوكاندا.

4. هامش الخطأ

بعد قليل سنذهب، وسنترك وراءنا أثاثاً غالياً. سنذهب دون خرائط ولا حقائب، لن نركب قطارات أو سيارات. سيكون معنا فقط خيال قليل وأسرار في جيوب المعاطف. حتى الذكريات سنتركها طعاماً للقط العجوز. لم تعد لنا أشياء لنعيش من أجلها هنا، قد يكون في ذلك نوع من الحرية أو بعض من الياس. عجوز آخر سنتركه وراءنا: إنه الأمل، سنترك له دون وداع ولا طعام. صور كثيرة ستبقى عائمة على مياه الصنبور المعطل، ومسودات وهدايا وأحذية قديمة. لا تزال زجاجة على رفوف المطبخ، سنتقاسم نبيذها قبل أن نغادر. لن نبحث عن المفاتيح والأقفال، سنترك الأبواب مشرعة على الهواء والضوء واللصوص، مع علمنا أن لا أحد بعدنا سيأتي لإعادة بناء السراب. بعد قليل سنذهب، وسيظل الشعر هناك، في خلفية قليلة الإضاءة.

5. الأحمر

تراكم غبار ثقيل على زجاج الرغبة منذ ذهبتِ، فصرت أداوم على الأرق، أعمل -كأنني براتب- حتى لا تصير الرغبة منحوتة.. حتى لا أنتبه ذات صباح كم مشى النمل في أرض الغرفة، كم مشى يتثاقل تحت وطأة ذكرياتكِ المنثورة حول الأثاث، كم مشى يسحبها إلى متحف النسيان ليعيد هيكلتها، كأنها مخطوط من خرائب قُمران. تراكم غبار ثقيل، وقليل من السنوات: أقول أحياناً هل هي عمر إضافي إلى رزنامة التعب؟ هل هي قطرة أخرى قد أفاضت كأس نبيذ الكسل؟ تراكم غبار ثقيل، كما لو ليشفق على زجاج مراة تعودتْ على رقة صورتكِ المستوحشة داخلها، كما لو ليضمد شروخها، فهي بعدما غادرها خيالكِ -ببساطة- صارت تتصدّع أحياناً.

6. لعابك في فمي

لعابك لا يزال في فمي،
يحرك بداخلي عشباً شهوانياً، ربما لا يكفي هذا لترميم زجاج الحياة، لا يكفي لارتقاء
أدراج معتمة في الأرق، ولا يكفي لمد الذات بخداع آخر.
كأنها اليد التي تسحب أعمى، وتمنحه برداً وثلجاً لأفكاره الملونة.
أنا لا أحبك. فقط أمشي على خيوط اللذة الرفيعة كبهلوان..
وكعنكبوت أحياناً. لا أحبك،
غالباً لأن حيواناتٍ بداخلي أو لأنني كسول وفي رأسي تتأسس وتنهدم أشياء. قد تكون الجمال، قد تكون الرغبة أو الأخطاء.
تنسين سحرك بين يديّ. وأنسى يديّ على نعومة فخذيك. ومعاً ننسى، ونحاول الحب في خيال آخر.
أقوى من أفكارنا وأعلى من بنائية
تغري بالانتحار.

7. مخدع الرغبة

أصعد سُلم ريشتر مرة أخرى!
تزيح تلك اليدُ أصيصاً ويتشقق إطار مراة. أمرّ ببهوكِ، أراك مرة أخرى تنفضين غباراً عن الستائر أو تُلمّعين بعض الأثاث. على يدي لا تزال آثار جرح وأنا المس بشرة انشغالك، وأنا أمسّد كتفيك بحثاً عن مكمن إرهاق ما. خشب السرير حتى في غيابك له صرير، يشبه إصرار شفتيك على الرغبة.. إصرار شفتيّ على اللذة، أو إصرار شفتينا معاً على ارتشاف مسعور... أحياناً تقولين هل هي كهرباء في عنقي أم في فمك؟ أحياناً أقول لك فمي أسير في مرتفعات صدرك. ونمرّ معاً، من أريكتك إلى فسحة السرير، قبل أن تنتحر رغبات على فوضى الشراشف.

8. أحبك، فاكتبْ نثرا

تذوب قطعة السُكّر بطيئاً في فمي.
يصير للضجر مذاقٌ آخر.. فأبتسم.
لا تحملين إليّ وروداً، بل تفاحاً وحلوى ومياهاً معدنية. يسيل حنانٌ مفتعل من أصابعك حين تلمسين وجهي، فأظلّ مبتسماً. بعد قليل ستغادرين، وستغادر معك أنفاسٌ ورائحة وفرح. أنا أيضا ستغادرني أشياء. لن أبكي، لأن دموعي لن تتحول إلى بلورات، فقط استعيد خيالاً تظهرين فيه عارية وخيالاً آخر أمشي فيه بأقدام من نحاس. أرغب في مغادرة المستشفى. أقول لك كلاماً عذباً، فتشعرين بشيء. تصيرين. هكذا. شفافة. تقفين عند الباب، تبتسمين بحب، فينفجر الدم ساخناً من فمي.

9. عدتُ من شفتيك

عدتُ خائباً من شفتيكِ. رأيتُ جسدي متشققاً، خشيتُ أن تتهدم بداخلي أشياء الآخرين، فبنيتُ للرغبة سياجها. ورأيتكِ في غرفة باذخة يضاجعك لصوص متعبون. كنتِ امرأة تصهر الذهب في عينيّ، وكنت خائفاً. ركبت مظنأراً وصعدت إلى السماء، فلم أجد غير ساعة حائطية معطلة ينام بداخلها ملائكة يائسون... سيندفق منيّ كثير على سريرك. ستنتصب فخاخ. وسياتي من يحمل إليكِ الليل سائلاً في كفه.

10. الملاك الأزرق

قطار آخر سيصدم الرغبة، فيسيل دم قليل، وتكونين أنت بكل رخامك المكسور. سنضاجع الكوابيس، وسنذهب معاً في نوم عميق. الصباح ليس قُطناً يبلله النعاس، بل مطر غزير ينهمر في العواطف الفارغة.. عواطف المرأة الذاهبة إلى القتل. أنا أيضاً ذهبت، فتساقطت ثلوج وأعمدة وأحلام، واندفق السائل ساخناً على فخذيك. وكنت تشبهين الملاك الأزرق في إغوائك الذي يحطم الدمى في أيدينا. حينها فقط أدركتُ أننا مجرّد مسوخ يحرسون سهرتكِ، مجرد ظلال لجنس يُمارَس في المقصورات والمصاعد ودورات المياه. هل يكفي أن تمر يدي على لحمك تحت الدانتيلا، لارتجف؟

* المغرب

(*) مقتطف من رواية «جريمة في مسرح القباني/ الحدّ والشبهة»، تصدر قريباً عن «دار ميم» في الجزائر.

(**) سوريا

مذكرات

أورهان كمال... مع ناظم حكمت في الزنزانة رقم 52

تصادف في العام الحالي الذكرى السابعة والخمسون لوفاة «شاعر تركيا الأعظم» الذي اقترنت قصائده بآهات الكادحين وخوف المظلومين. في كتاب «ثلاث سنوات ونصف مع ناظم حكمت» (منشورات المتوسط ـ 2020)، الكثير عن شخصيّة ناظم حكمت، الشاعر والرسّام في عينيّ أورهان كمال الذي يصفه بـ«ماكينة شعر عملاقة»؛ أفكاره السياسيّة وثقافته الواسعة ورؤيته لدور الفنّان وضلاته الدائمة في اتّجاه قبلة الإنسان. في ختام الكتاب رسائل تبادلها الرجلان، توضح أن كمال بدأ مشروعه الروائي، فيما كان حكمت يتابع تسويق منتجات مشغل السجن من ملاءات الأسرة والفوط، وكتابه «مناظر إنسانية من بلادي»، الذي يتحدّث فيه شعراً ونثراً عن تاريخ تركيا منذ الدولة العثمانية وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية زمن الجمهورية التركية. إشارة إلى أنّ الرسائل المضافة إلى نهاية الكتاب، كان أرسلها محمد فؤاد ابن حكمت لإيشيق أووتشو ابن كمال الذي أدمج في الكتاب أيضاً مذكرات والده في السجن.

نسرين حمود

في سنة 1940، قبع أورهان كمال (1914-1970) وناظم حكمت (1902-1963) معاً في الزنزانة رقم 52 في سجن بورصة. كمال كان معجباً بـ«شاعر تركيا الأعظم»، الذي اقترنت قصائده بآهات الكادحين وخوف المظلومين. في كتاب «ثلاث سنوات ونصف مع ناظم حكمت» (منشورات المتوسط ـ 2020)، الكثير عن شخصيّة ناظم حكمت، الشاعر والرسّام في عينيّ أورهان كمال الذي يصفه بـ«ماكينة شعر عملاقة»؛ أفكاره السياسيّة وثقافته الواسعة ورؤيته لدور الفنّان وضلاته الدائمة في اتّجاه قبلة الإنسان. في ختام الكتاب رسائل تبادلها الرجلان، توضح أن كمال بدأ مشروعه الروائي، فيما كان حكمت يتابع تسويق منتجات مشغل السجن من ملاءات الأسرة والفوط، وكتابه «مناظر إنسانية من بلادي»، الذي يتحدّث فيه شعراً ونثراً عن تاريخ تركيا منذ الدولة العثمانية وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية زمن الجمهورية التركية. إشارة إلى أنّ الرسائل المضافة إلى نهاية الكتاب، كان أرسلها محمد فؤاد ابن حكمت لإيشيق أووتشو ابن كمال الذي أدمج في الكتاب أيضاً مذكرات والده في السجن.

ويوجز كتاب كمال الصادر أصلاً في اللغة التركية سنة 1965، وبأسلوب سهل يقترب من التبسيط، وبحميمية، محطات كثيرة تدل على أنّ السجن كان مختبراً حقيقيّاً لشعر حكمت المؤمن بمقولة «الشاعر مهندس الأرواح»، وتأثره بمايا كوفسكي، واهتمامه بتجديد المضمون الشعري أكثر من الأسلوب، وآرائه في التيار الشعري التركي التجديدي الصاعد آنذاك. كان الشاعر المرموق يعلّق على حركة هذا التيار، قائلاً لكمال إنّها كانت تتناول الشكل بخاصّة (كسر القافية والوزن)، صحيحٌ أنّ حكمت كان يستسيغ المنضوين تحت هذا التيار الذين كانوا يستخدمون مفردات سهلة من اليوميّات في شعرهم، إلاّ أنّ الشاعر التركي الثوري كان من الداعين إلى الإفادة من إمكانيّات تطوّر الشعر عبر العصور، بعيداً عن «التصفية». وكان يأخذ على شعر المجدّدين إهماله القضايا الإنسانيّة الكبرى، والانغماس في التغريب، حكمت الذي يعني له الكثير أن تفهم عامّة الشعب شعره حتّى يصبح «شعراً لهم»، كان دائم الحذف للعبارات التي لا يفهمها المساجين من كتابه «مناظر إنسانية من بلادي». شعره كان أصيلاً، مقترناً بآهات الكادحين وخوف المظلومين، ورؤيته أمميّة.

أخذ على شعر المجدّدين إهماله القضايا الإنسانيّة الكبرى، والانغماس في التغريب

وفي جانب التشكيل، تفاصيل عن زيارات أمّ حكمت معلّمته الأولى للرسم في سجنه، وهي كانت ترسم أثناء هذه الزيارات بعد أن يُسمعها حكمت أشعاره، تحت دهشة المساجين الذين لم يألفوا مشهد امرأة عجوز ترسم. فتتحوّل الزيارة إلى حصّة في الرسم، على إيقاع نقاش الأم والابن الصاخب؛ الأمّ تركّز على أن يبدو رسمها بزّاقاً وجذّاباً، فيما حكمت يشدّد على رسم جمال القبح الذي يعكس البيئة الاجتماعيّة. علماً أنّ حكمت رسم بورتريهات الكثير من المساجين.

في الفترة التي تجاور فيها الرجلان، كانت الأخبار تتواتر عن حشد ألمان جيوشهم (الفيرماخت) في بلغاريا (1941- 1942). ومع ازدياد السجناء المؤيّدين للجيش الألماني (بدون سبب موجب) ضدّ الاتحاد السوفياتي (الجيش الأحمر)، وتقدّم الأول، كان حكمت يسخط بصمت، ثمّ يردّد على مسمع كمال أنّه «إذا انتصر هؤلاء الرجعيون (الألمان)، فسوف تعود الإنسانيّة وما اكتسبته حتّى اليوم من تقدّم، ألف سنة إلى الوراء! (...) لكن الألمان سيهزمون... لأنّ هذه حتميّة تاريخيّة (...)».

افتتن كمال بشخصيّة الرجل ذي القبقاب، الروماني، مدخّن الفليون؛ فقلّما يعثر القارئ في السرد على ما يعيب الشاعر المؤمن بالأمميّة الاشتراكيّة. استطاع المؤلّف نزع القشرة الخارجيّة عن حكمت أو رداء الشهرة، والدخول إلى أعماقه، واستفاض في الحديث عن خصاله، تنظيمه للوقت، وعن إيمانه بأبناء شعبه، وشيوعيته، وحبه لزوجته (السيدة براڤا) وكيفيّة تأنقه لاستقبالها، ولو أنّ أحداً لم يعرف لماذا انفصلا عن بعضهما. لكن، بقدر ما يروي الكتاب الوثيقة، يبقى القارئ متعطّشاً للتعرّف إلى المزيد عن حكمت، ناظم الشعر الذي لا يزال يتذوّقه القارئ، فيتبيّن طرَاجته وحفره في قضايا الإنسان، مهما كانت جنسيته، فتنتهي الصفحات بدون أن تشفي غليله، ما يجعل شبكة الإنترنت ملاذاً لنهل المزيد عن حكمت، وأشعاره المترجمة إلى العربية وحياته المنقضية بين السجون التركية والمنفى (موسكو) وتأخر شعره ليبين للقرّاء الأتراك نتيجة حظره. تصادف العام الجاري الذكرى السابعة والخمسون لوفاة حكمت، وإلى كتاب كمال المترجم إلى العربية، صدرت مذكرات زوجته الروسيّة فيرا توليافوفا، بعنوان «الحديث الأخير مع حكمت» عن «دار المدى».

رواية

إريش ماريا ريمارك: عن البشر وبيادق أخرى

يزن الحاج

لم يكن المعلّم الألماني الشاب إريش ماريا ريمارك يتوقّع النجاح الساحق الذي نالته روايته «لا جديد في الغرب» (1929). وربّما لم يدرك أسباب ذلك النجاح حتّى بعدما هدأت أصداء ذلك الانتشار. وعلى الأغلب أنّه لم يكن ليتخيّل صمودها قرابة قرن كامل من القراءة وإعادة القراءة والترجمة وإعادة الترجمة. غير أنّنا اليوم قادرون أكثر على فهم تلك الرواية وفهم كاتبها وفهم أسباب نجاحها، بل قادرون على ترسيخ مكانتها أكثر عبر إعادة قراءتها مرات ومرات. سنُسطّح الرواية ونختزلها اختزالاً مُجحفاً لو قلنا إنّها رواية عن الحرب العالميّة الأولى، أو عن الحرب، أيّ حرب. الرواية تهجو النّفاق البشريّ، بل البشر كلّهم، المانا وغير المان، من شارك في الحرب ومن لم يشارك. وبدا، فهي كانت وستبقى رواية كلاسيكيّة لن تُنسى إلا بنسيان فعل القراءة في ذاته، كأيّ عمل كلاسيكيّ راسخ آخر. أسباب انتشار الرواية كثيرة ومتشابكة ومتناقضة أحياناً: إنّها رواية كتبها جنديّ ذاق ويلات الحرب وكتب عنها؛ رواية نضجت في ذهن كاتبها ولم يدلقها مباشرةً كشتيمة، بل انتظر إلى أن اختمرت وقست أكثر؛ رواية عن الحرب العالميّة الأولى ولكنّها ما زال متدبذباً بين الحياة المدنيّة التي لم يكد يبدأها بعد والحياة العسكريّة التي ستصبح حياته الوحيدة. ولذا يتأسّى البيدق زملاءه البيادق الأخرى في السريّة التي كان تعدادها 150 جندياً قبيل بداية الرواية، لندرك بعد صفحات قليلة أنّ العدد تضاءل إلى 80، ليتضاءل أكثر إلى 32 مع منتصف الرواية، قبل أن يتلاشوا جميعهم وكأنّهم ما كانوا.

ربما كان باول هو ريمارك نفسه. هذا ليس مهماً لنا، بل يهمّنا براعة تشريح ريمارك للحرب وللبيادق الألمانيّة وغير الألمانيّة التي لا تولد ولا تعيش إلا لتكون وقوداً للحرب التي لا تنتهي إلا كي تعود. فرحة باول ورفاقه بالطعام الوافر في بداية الرواية حين أصبح لكلّ منهم حصتان بدلاً من حصة واحدة هي فرحة الجسد الذي لم يذق إلا الحرمان. النجاة هي الهدف الأول والأخير، والجنديّ خُلق كي يموت. تلك طبيعة الأشياء كما كان باول يراها. ولكن مع اكتشافه شيئاً فشيئاً أنّ البيادق تكاد تتلاشى، يتنامى الشعور الآخر الذي لا يدركه إلّا مَنْ عايش تجربة النّجاة الجماعيّة. أن تنجو مع رفاقك هي كون لنجاتك معنى، لا أن تنجو بمفردك. باول نفسه الذي فرح بحصّة الأكل المضاعفة كاد يتقيّأ بسبب غفلة المدنيّين وأنانيّتهم حين رحل ليقضي إجازته في بلدته. مدير مدرسته يريد أراضي كاملة كي يرضى، وليس له أن يدرك معنى البقاء على قيد الحياة لأنّه لا يعرف عن الجبهة شيئاً. غربة باول في إجازته هي نقطة التحوّل الكبرى في حياته: بدأ يدرك حقّ الإدراك أنّ حياته باتت هناك، في الجبهة، حيث الأشلاء والرصاص والنار والغاز؛ حيث لا تكون الأحلام الغبيّة بأراضٍ تُقتطع من هذه الدولة أو تلك، بل أن يُختزل الوجود كلّه في جسدك وجسد رفاقك، بل وفي أجساد البيادق كلّها على اختلاف جنسيّاتهم وانتماءاتهم. ليس الأعداء في الحرب بل في المدن والقصور المتخمة بالحياة. وكلّ لحظة نجاة في الحرب باتت تعني سرقة هذه اللحظة من عدوّك الذي كان، ورفيقك في الموت الآن.

أن تسرق وجود. هذا هو الهدف الوحيد الذي بات عشرات الآف الشبّان يعيشونه في الحرب، وهم يدركون أنّ مصيرهم محكوم بالصدفة. ستعيش بالصدفة، وتموت بالصدفة، ويُبتَر جسدك بالصدفة. ليس منهم من سوف «يُعمَّر فيهم»، إذ إنّهم هرموا وانتهى الأمر. باتوا على هامش الحياة التي لا تعترف بالبيادق. هم محض أرقام لا أكثر. الجنديّ رقم كذا، سيصبح السرير رقم كذا في المشفى، وربما القتيل رقم كذا في أحد المدافن الجماعيّة. مع اقترابنا من الصفحات الأخيرة، سنبدأ باكتشاف معنى البرقيّة الرسميّة التي ستُلخّص حياة باول بويمر بأكملها. مات وحيداً بعد موت رفاقه كلّهم. الصدفة لعبت دورها مرّة أخرى لتجعله يموت في يوم هادئ لن يُكدّر الجنرالات والملوك، يوم هادئ على الجبهة ليس فيه إلا موت بيدق لن يهمّ أحداً. لا جديد في الغرب، لا جديد في الشرق، لا جديد في الشمال، لا جديد في الجنوب. قد يموت عشرات، أو مئات، أو آلاف، أو ملايين. لا يهم. ما زال لدينا سبعة مليارات من البشر محكومون بالصدفة ليس إلا. نجت رواية ريمارك بعدما أحرقها هتلر من بين ما أحرق من كتب تندّد بالحرب، لعلّها صدفة أخرى. ولكن هناك أعمال وكلمات كثيرة احرقتها صدف أخرى لأنّها «توهن نفسيّة الأمة»، لو استعرنا العبارة الحمقاء التي تردّدها الأنظمة على اختلافها. يرى ريمارك أنّ روايته ليست إلا «محاولة فقط لحكاية ما حدث لجيل دمّرته الحرب ـ وإن كان قد نجا من نيرانها». ولكن هل نجوا حقاً؟ هل نجونا؟ هل سنتجو؟

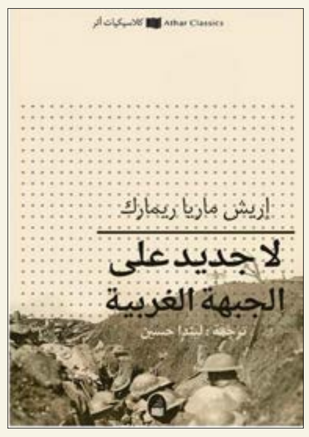

احرق هتلر الرواية لأنها «توهن نفسيّة الأمة»

توثيق

تيسير خلف ينبش الأوراق المجهولة للمسرح العربي

خليل صويلح

بعد كتابَيه الوثائقيَّين «وقائع مسرح أبي خليل القباني في دمشق»، و«من دمشق إلى شيكاغو: رحلة أبي خليل القباني إلى أميركا»، يواصل تيسير خلف رحلته في نبش الأوراق المجهولة التي تتعلّق بمسيرة المسرح العربي في بواكيره الأولى، في كتابه «سيرة الأجواق المسرحيّة العربية في القرن التاسع عشر» (منشورات المتوسط)، مميطاً اللثام عن مذكّرات ممثّلَين لعبا دوراً مؤثراً في تأصيل الفرجة المسرحية هما عمر وصفي ومريم سماط وعلاقتهما الوثيقة بمسرح أبي خليل القباني في مرحلته المصريّة، وبقيّة الأجواق المسرحية التي كانت تتنافس في ما بينها على استقطاب الجمهور والممثلين في آنٍ واحد. تنطوي مذكّرات مثل «ولّادة بنت المستكفي»، و«عنتر بن شدّاد»، و«مكائد الغرام»، على عكس ما تقدّمه الجوق المصريّة، بالإضافة إلى وجود مطربة تغنّي بين فصول العرض أو في ختامه. وهنا يحضر اسم الممثلة اللبنانية مريم سماط كورقة رابحة في الفرقة، كما يشير إلى أنّ منع التمثيل في ولاية سورية العثمانية، أرغم القباني على الهجرة إلى مصر، وتطوير أنماط الفرجة نصّاً وراء آخر. من ضفّة أخرى، تكمن قيمة هذه المذكرات في توثيق أحوال المجتمع، وقيمه المتبدّلة، وإذا بمعظم المغنّين والمشخّصاتية ينتقلون من جامع الأزهر إلى خشبة المسرح، وأبرز هؤلاء الشيخ سلامة حجازي، بردم المسافة بين فنون الأداء. وسنتعرّف في رحلته الدمشقية بصحبة أبي خليل القباني إلى طرائف التقاليد الدمشقيّة في المآكل وطريق الاستقبال والشغف بالطرب. ويذكر عمر وصفي أنّ هذه الرحلة كانت بقصد التعاقد مع مطربة جديدة للفرقة هي ملك سرور. يتوقّف المركب في ميناء بيروت، كان على المسافرين القادمين من الإسكندرية الخضوع للحجر الصحيّ بسبب «الكورنتينة» أو انتشار الطاعون في الوجه القبليّ لمصر، فاضطر أعضاء الفرقة إلى الخضوع لإذاعم مدة عشرة أيام قبل التوجّه إلى دمشق. لا تتوقّف مذكرات عمر وصفي على سيرته الذاتية، إنّما ترسم خرائط الجوق المسرحية التي ستقوده إلى مغامرات جديدة. يروي عمر وصفي في مذكّراته المنشورة على حلقات في مجلّة «الصباح» القاهرية (1931)، أحوال الممثلين حينذاك والمكابدات التي عاشوها لتأصيل فرجة عربية، خصوصاً في ترحالهم بين المدن والقرى بما يشبه المسرح الجوّال اليوم، إذ كانوا ينتقلون بالمراكب العائمة في نهر النيل لعدم توفّر أجرة الركوب في القطار أو استئجار لوكندة. ومن المفارقات التي يرويها أن بعض الرفيقين آثروا التياترو أثناء عرض مسرحية «هارون الرشيد» بعريضة شكوى ضدّ العمدة، على أمل أن ينصفهم هارون الرشيد من استبداد العمدة؛ ويلفت عمر وصفي إلى أنّ فرقة أبي خليل القباني كانت الأكثر احترافيّة بين الجوق الأخرى باعتمادها على نصوص عربيّة مثل «ولّادة بنت المستكفي»، و«عنتر بن شدّاد»، و«مكائد الغرام»، على عكس ما تقدّمه الجوق المصريّة، بالإضافة إلى وجود مطربة تغنّي بين فصول العرض أو في ختامه. وهنا يحضر اسم الممثلة اللبنانية مريم سماط كورقة رابحة في الفرقة، كما يشير إلى أنّ منع التمثيل في ولاية سورية العثمانية، أرغم القباني على الهجرة إلى مصر، وتطوير أنماط الفرجة نصّاً وراء آخر. من ضفّة أخرى، تكمن قيمة هذه المذكرات في توثيق أحوال المجتمع، وقيمه المتبدّلة، وإذا بمعظم المغنّين والمشخّصاتية ينتقلون من جامع الأزهر إلى خشبة المسرح، وأبرز هؤلاء الشيخ سلامة حجازي، بردم المسافة بين فنون الأداء. وسنتعرّف في رحلته الدمشقية بصحبة أبي خليل القباني إلى طرائف التقاليد الدمشقيّة في المآكل

عمر محمد ميقاتي هجر عمله في المسجد للعمل في المسرح

أسّست لفن التمثيل الاحترافي في مصر مثل اسكندر فرح، وجورج أبيض، وآخرين. ولكن من هي مريم سماط (1889- 1914)؟ هناك إشارة أولى إلى اسمها في صحيفة المقطّم المصرية بوصفها الممثلة الأساسية في فرقة أبي خليل القباني، وقد فرّت من بيروت إلى القاهرة، وسيورد اسمها لاحقاً في فرقة سلامة حجازي بوصفها «زهرة دار التمثيل»، وستكتب صحيفة «الوطن» القاهرية عن براعتها في التمثيل وحجم التصفيق المتواتر لما ظهر عليها من التأثّر الذي «أتصلت شرارة كهربائه إلى نفوس المتفرّجين جميعاً». وسوف تجمع فرقة جورج أبيض العائد من باريس للتوّ أبرز ممثلي تلك الفترة، وكان بينهم اسم مريم سماط «أقدر ممثّلات الشرق»، و«فلترقص مراسح جورج أبيض طرباً، ولتهنأ بنت سماط بنبوغها». في مذكّراتها المنشورة في جريدة «الأهرام» (1915)، تروي مريم سماط وقائع من رحلتها مع التمثيل، وأثر أبي خليل القباني في بلورة موهبتها، مروراً بأصحاب الفرق الأخرى، والمشاحنات التي كانت تحصل بين الممثلات بسبب الغيرة، ما جعلها تبتعد عن هذه الفرقة إلى تلك «إن لم يكن وفاق ففراق». هكذا تتقاطع مذكّرات عمر وصفي ومريم سماط على أهمية أبي خليل القباني في ترسيخ التقاليد الاحترافية في المسرح العربي بابتكاره توليفة فنية استعراضية، وبأنّ المسرح في العقد الأخير من القرن التاسع عشر كان ظاهرة فنية تتمتع بشعبية واسعة. يقول تيسير خلف في تقديم كتابه «لقد بذلت جهداً مضاعفاً في تحقيق هذه المذكرات فلم أكتف بالتحقق العادي للنص، بل لجأت إلى الطريق الأصعب وهو المواكبة التاريخية للنص، أي إثبات المعلومة أو نفيها بالوثيقة الحية. ولذلك فهذه المذكّرات تندرج في سياق التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام ومصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر»، كما يشير إلى جهود سيد علي إسماعيل من القاهرة، ومحمود الزيباوي من بيروت، ومكتبة جمعة الماجد في دبي بتزويده بوثائق نادرة عن هذه الحقبة من أحوال المسرح العربي.

لمحات

الان تورين

يتصدّى عالم الاجتماع الفرنسي آلان تورين لمجموعة من النظريات التي تختزل المجتمعات الحديثة إلى مجرّد مجتمعات اقتصادية أو ثقافة أو استهلاكية في مؤلّفه «الحداثة المتجدّدة ــ نحو مجتمعات أكثر إنسانية» الذي يصدر قريباً عن «دار الساقي» (ترجمة جلالة بدلة). يحاول تورين أن يبيّن خصائص الحداثة، ويمرّ على المجتمع المعاصر الذي أسفر عن مجازر جماعيّة عرقيّة، كما يوجّه دعوة إلى الانطلاق بفكرة الحداثة من جديد بهدف تفكير مختلف في عصرنا الحالي من أجل التصدّي لنظام اقتصادي شرس يهدّد العلوم الاجتماعيّة.

فكتور باسكوف

تدور أحداث رواية «أنشودة لغوغ هينيك» (1989) لفكتور باسكوف في بلغاريا الخمسينيات، حول صانع الكمنجات التشيكي العجوز غوغ هينيك، كما يرويها الطفل فكتور. الرواية التي تعدّ من كلاسيكيات الأدب العالمي ستصدر قريباً بنسخة عربية بترجمة خيري حمدان (دار سرد، ودار ممدوح عدوان)، وفيها يروي الموسيقي والكاتب البلغاري قصّة عن الحب والصداقة والحضارة والفقر، ورفض التغييرات التي يفرضها العالم الحديث على القيم من خلال بطله غوغ هينيك الذي يضطرّ إلى ترك بلده تشيكيا والهجرة إلى صوفيا البلغارية حيث يقضي أيامه الأخيرة.

علي حرب

يتّخذ المفكّر اللبناني علي حرب من وباء كورونا، فرصة لمساءلة نرجسيّة الإنسان وأساليب عيشه وتفكيره وعلاقاته في مؤلّفه الجديد «الإنسان على المحك: المركزية البشرية والتوازن البنّاء» (الدار العربية للعلوم ناشرون). في المؤلّف تأتي الجائحة لتضاف إلى آفات معاصرة أخرى مثل الفساد والاستبداد والإرهاب، ومن خلالها يتوقّف حرب عند المأزق الوجودي والحضاري للإنسان، في مقاربة يتوصّل فيها إلى أن الإنسان هو مصدر الأزمة المستعصية. وما الكورونا، وفق الكتاب، إلا حدث يشكّل فرصة للمساءلة والمراجعة واضعاً البشر على المحكّ.

سيس نوتيوم

تعدّ «طلقوس» (1980) من أشهر أعمال الكاتب والروائي الهولندي سيس نوتيوم، وقد شكّلت عودته إلى الرواية بعد 17 عاماً أمضاها في العمل الصحافي والكتابة الشعرية. الترجمة العربية للرواية صدرت أخيراً عن «منشورات الجمل» (ترجمة علي عبد الأمير صالح)، وفيها تمتزج العبثية بالواقعية اليومية للبطل إيني وينترنوب الذي تفتتح الرواية بمحاولة فاشلة لانتحاره. في الرواية تتابع الأحداث في شوارع أمستردام، حيث تشهد الأسواق توسّعاً، فيما يلتقي وينترنوب برجلين آخرين، تبرز من خلالهما التناقضات في الشخصيات، والرؤى المختلفة إلى الفن والحب...

حامد الناظر

بعدما تحرّر من الأسر في معسكرات الحرب في وادي العقيق، تجد بطلة رواية «عينان خضراوان» (دار التنوير) نفسها محاصرة مرّة أخرى من قبل مجتمع يضعها مجدّداً في تجربة أسر مختلفة. في الرواية الرابعة، يتتبع الروائي والصحافي السوداني حامد الناظر هذه الرحلة، مستلهماً إيّاها من تجربة حقيقية لشابّة واجهت عقوبة الإعدام بسبب زواجها من رجل مسيحي. حادثة تعدّ بمثابة مدخل للإيغال في القضايا العربية، والظروف القاتلة التي تحيط بالنساء، منها ما يضطرّهن إلى التضحية بحياتهن أو اتخاذ خيارات المواجهة مهما كانت شاقّة.

عبد الرازق فرّاج

يقدّم عبد الرزاق فرّاج دراسة عن سياسات الاعتقال الإداري التي يستخدمها الاحتلال الإسرائيلي لقمع وتعذيب الفلسطينيين. بعنوان «الاعتقال الإداري في فلسطين كجزء من المنظومة الاستعمارية: الجهاز القضائي في خدمة الأمن العام» (مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، يستعيد الكاتب الفلسطيني في مؤلّفه تاريخ الاعتقال الإداري منذ بداية الاحتلال، والأشكال التي ابتكرها الفلسطينيون لمواجهة هذا الاعتقال، كما يتوقّف عند الجهاز القضائي الإسرائيلي المنحاز دائماً. وقد أنجز فرّاج هذا الكتاب بالاستناد إلى تجربته الشخصية في الاعتقال.

أوراق

لغة العقارب

زكريا محمد *

عثرتُ على صورة هذا العقرب منشورة في موقع من المواقع التي تعرض اللقى الأثرية المحفورة حفراً غير شرعي والتي تعرض كذلك رسومات الصخور باعتبارها إشارات ما لكنوز مخبوءة مفترضة. ولم يعطِنا ناشروها أيّ معلومات حول المكان الذي عُثر عليها فيه. لكن يبدو لي أنّه في مكان ما بين الجزيرة العربية والشام.

العقرب محفور بشكل لطيف على صخرة أرضية في ما يبدو، ومزيّن بالخطوط، وقربه مجموعة من الأشكال والرموز. لكن الأهم أن هناك إلى يساره نقشاً مقروءاً بأبجدية من الأبجديات القديمة في شمال الجزيرة العربية. والنقش هو دفعني إلى أن أكتب هذه المادة القصيرة عن عقرب الصخرة هذا.

وليس هناك توقيع لمن حفر العقرب، كما جرت العادة. لقد فضل من حفره أن لا يكتب اسمه. أمّا الصليب إلى اليمين، فمن صنع من نشرَ صورة العقرب لكي يشير إلى الاتجاهات، على فرض أن العقرب رمز يشير إلى كنز مخبوء في جهة ما من مكان قريب.

ونقش العقرب منتشرٌ على صخور المنطقة، وفي مناطق أخرى من العالم. ويبدو أنه كان يملك قيمة دينية كبيرة حتى نجده بهذه الكثافة. ونحن نعرف أنّ هناك برجاً في الأبراج السماوية يُدعى «برج العقرب»، لكنني لا أظن أن للنقش علاقة بهذا البرج. أمّا عند الباحثين عن الكنوز فالعقرب إشارة تكنيزية لا غير. إنه إشارة إلى ذهب مخبوء ينبغي البحث عنه. فليس هناك أديان ولا آلهة عندهم. عندهم ذهب مخبوء يجب الكشف عنه فقط.

النقش

يتكون النقش قرب العقرب من أربعة أحرف تُقرأ من الأعلى إلى الأسفل حسب الصورة المنشورة. لكن إذا دورنا الصورة بمقدار 90 درجة باتّجاه عقارب الساعة فيمكننا قراءته من اليمين إلى اليسار. لكن الحرف الرابع يكون خارج من الصف. إذ أنه وضع نفسه فوق الحرف الثالث. يقول النقش حسب قراءتي: «ز شبه».

أما حرف «ز» فهو اسم إشارة قديم في شمال الجزيرة العربية بمعنى «هذا». الحرف الثاني مميز بشكل خاص، ويتكوّن من مثلثين فوق بعضهما. وليس هناك مثله تماماً في أبجديات شمال الجزيرة العربية. لدينا حرف الزاي الذي قد يكون أحياناً مكوناً من مثلثين متعاكسين. لكن الحرف ليس زايا. فالزاي موجودة في بداية النقش. وإذا أردنا أن نعثر على قريب لهذا الحرف، فسنجده ربما في حرف الصاد في عدد من الأبجديات الشمالية. لكنه ليس مثلها تماماً.

أما أنا فقد قرأت هذا الحرف على أنه شين كما رأينا أعلاه. ومبرّري لذلك هو افتراضي أن النقش يشير إلى العقرب. والعقرب في العربية هو «شباه» أو «شبوة»، وجمعه شبوات: «الشَّباة: العقرب حين تلدها أمّها، وقيل: هي العقرب الصفراء، وجمعها شَبَوات... وقيل: شَبْوَة هي العَقْرَبُ ما كانت... وشَباةُ العَقْرب إبرتها» (لسان العرب). يضيف ابن فارس: «والشَّبْوَة اسم للعقرب، وإنّما سمِّيت بذلك لِشَبَاةِ إبرتها» (ابن فارس، مقاييس اللغة). يزيد أبو العلاء: «والشبوات، جمع شبوة، وهي العقرب الصغيرة» (أبو العلاء المعري، الفصول والغايات).

أما ابن دريد، فيعطينا رجزاً فيه ذكر للعقرب الشبوة: «الشَّبْوَة: العقرب الصغيرة، والجميع شَبَوات. قال الراجز قد بَكَرَتْ شَبْوَةُ تزبئرُّ: تكسو اسْتَها لحْماً وتقمطِرُّ» (ابن دريد، جمهرة اللغة).

بناء على هذا، فالنقش يقول: هذا شباه، أو شبوه، أي: هذا عقرب. الكلمة بالطبع كُتبت «شبه» لأن حروف العلة لم تكن تُكتب في العادة. بذا يمكن للكلمة أن تقرأ على وجهين: «شباه» أو «شبوه».

الرموز

وكما نرى في الصورة أدناه، فهناك ثلاثة مواقع فيها رموز وخطوط لونتها بالأحمر. في الأعلى لدينا سبعة خطوط أفقية فوق بعضها، يحيط بها خطان من اليمين واليسار. أي أننا مع تسعة خطوط مقسومة إلى قسمين: 7+2. ويبدو أن لهذه الخطوط معنى دينياً ما. كما أن فقرات ذيل العقرب تسع أيضاً. وهو ما يعني أن الرقم 9 مركزي في نقش العقرب هذا. أمّا الخطوط المتموجة على جسد العقرب فهي ثمانية. والخطوط المتموجة رمز للماء الجاري عادة

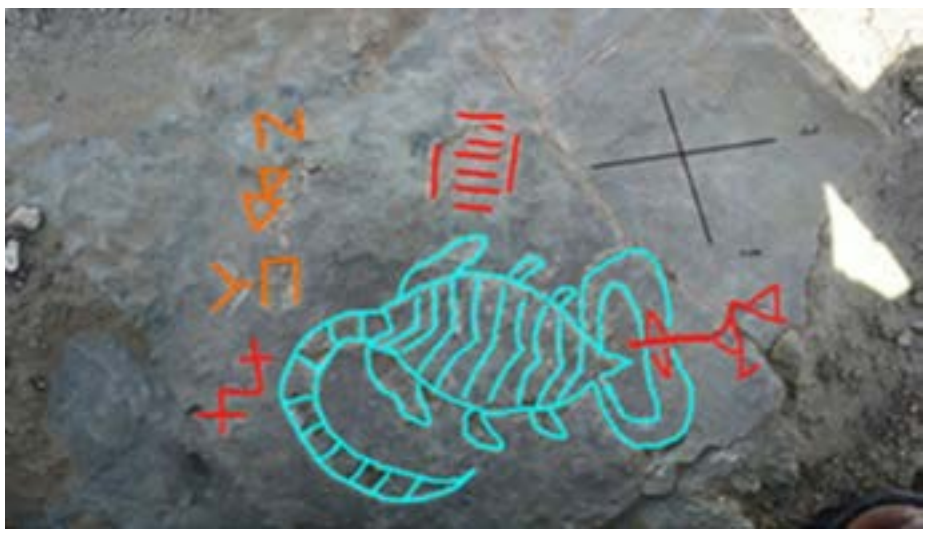

إلى اليسار هناك صليبان مترابطان، وإلى اليمين هناك مثلثات لها قاعدة بين فكّي العقرب. ولست أدري ماذا تعني في الحقيقة.

وباختصار، لدينا سلسلة رموز معقدة وغامضة من الأشكال والرموز، توحي بأن الرسام لم يكن يرسم عقرباً فقط، بل كان يرسم أفكاراً دينية على شكل عقرب. ونحن لا نعرف بالضبط ما هي هذه الفكرة الدينية. كما أننا لا ندري إن كان العقرب مجرّد وسيلة لرسم هذه الأفكار، أم أن له قيمة دينية. فقد يكون إلهاً - عقرباً أو شيئاً من هذا القبيل مثلاً. لكن إذا كان العقرب يمثل إلهاً، فإن اسم هذا الإله هو «شباه» أو «شبوه». وليس هناك آلهة بهذا الاسم حسب معرفتي. لكن لعلنا مع موقتة، روزنامة، ذات طابع ديني؟ فمن خبرتي الخاصة مع العقارب المنقوشة على الصخور، فإن هناك ما يشير إلى أنها كانت تُستخدم كرمز توقيتي. لكن ليس لديّ تأكيد ملموس على هذا. لديّ فقط سلسلة أرقام صاعدة أو نازلة: 9، 8، 7. وهي أرقام ذات طابع ديني مقدس تاريخياً.

على كل حال، يمكن القول إن لدينا أيضاً خمس كتل في الرسم إذا أضفنا كتلة النقش المكتوب. وهذا يعني أن لدينا رقماً آخر هو الرقم: 5.

العقرب الثاني

على كل حال، فقد عثرت على عقرب ثانٍ يرافقه نقش مكوّن من خمسة أحرف كبيرة الحجم. العقرب غريب إلى حدّ ما. فليس له سوى رجليْن على يساره فقط. أما على يمينه، فليس هناك أرجل. وهذا يعني أن من رسمه كان يرسم فكرة وليس عقرباً حقيقياً. إذ ليس معقولاً أنه لم يكن يعرف أن للعقرب أرجل على الناحيتين.

أما الأحرف من اليمين لليسار فهي كما يلي: د ، ع ، ع ، ج (؟) ، د.

والحرف الوحيد غير المؤكد القراءة هو الحرف الرابع. وقد افترضت أنه حرف الجيم. وإذا صحت قراءتي فالنقش يقول: «دعع جد».

أما الجذر «دعع»، فيعطي معنى الإبعاد والدفع: «في حديث الشعبي: أنهم كانوا لا يُدَعُّون عنه ولا يُكْرَهُون؛ الدَّعُّ: الطرد والدَّفْعُ» (لسان العرب). وجاء في سورة الماعون في القرآن «فذلك الذي يدع اليتيم». بذا فدعع في النقش تعني: طرد، أبعد، دفع. وقد فك الكاتب تضعيف العين فكتب «دعع» لا «دعّ». وهذا شائع في الكتابة القديمة.

أما «جد»، فيبدو أنه اسم إله. ونحن نعرف من نقوش شمال الجزيرة العربية أنه كان هناك آلهة بهذا الاسم. فلدينا آلهة باسم «نعر جد» أو «جد عوذ»، أو ما إلى ذلك: «حفظت النصوص الثمودية أسماء جملة آلهة، تعبدوا لها وتقربوا إليها بالقرابين والنذور. منها الإله: «ود» و«جد هدد» و«شمس» و«عزيز» و«نعرجد» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام). كما أن لدينا أسماء مركبة تشير إلى وجود إله باسم جد كما يخبرنا جواد علي أيضاً: «ورد في الأسماء العربية «عبد جد» و«عبد الجد»» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام).

بناء عليه، فالنقش يقول: «أبعد جد»، أي أبعد العقرب ودعّه بعيداً عنا يا جد. بذا فالنقش منطوقة سحرية لإبعاد العقرب الحقيقي. لكن العقرب المنقوش الذي نقشه ينوس بين الحقيقي والرمزي. فهو منقوش جيداً، لكن أرجله الناقصة تشير إلى الجانب الرمزي فيه.

إذن، هل قلت شيئاً مهماً بشأن هذه المنقوشات؟ لست أدري. لكنني قصدت أن أريكم كيف استخدم الناس في الماضي العقارب كلغة، لغة العقارب.

* شاعر فلسطيني